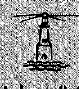
مسرحيات شكسبير

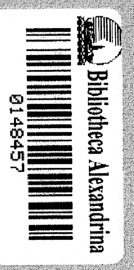
جامعة الدول العربية
الإدارة الثقافية



ضجة فارغة

ترجمة : عباس حافظ





دار المعارف

مسرحيات شكسبير

جامعة الدول العربية
المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - القاهرة

ضجة فارغة

ترجمة
عباس حافظ

مراجعة
محمد بدران　　شفيق غربال

الطبعة الثانية

دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج.م.ع.

كلمة الناقل

أسلوب شكسبير فى قصصه الماجنة

لم يكن شكسبير حين كُلفت نقل قصة منه غريباً عنى ، فقد قرأته على عهد الشباب ، كما يقرأ الشاب الكتاب خطفاً ، ويستعجل خاتمته شوقاً ولهفاً . وعدت أقرؤه فى المشيب ، بتدقيق وترو ؛ وأمضى فى قراءته ، على مكث ، لأن نظرة الشيخ عن لمحة الشباب ، مختلفة . فلا عجب إذا وقعت اليوم فيه على معان لم أقع من قبل عليها . ورأيته يتجدد فى خاطرى ، أبلغ مما بدا ، والنظرة عجلى ، والحماسة له مسرعة ، والإعجاب به لا ينتظر كل العلم ، ولا يقف حتى تتم المعرفة .

وكنت قد أدركت فى الشباب أن قصصه المحزنة ملأى بمواقف للحكمة ، ومواطن للفلسفة ، ومشاهد لقوة الكلمة ، وسلطان البيان . وأن الماجنة منها مفعمة مزاحاً ، مترعة طرائف وألاعيب وأفراحاً . فهى دون الأولى براعة وأقل منها حذقاً . فلما تناولت إحداها لنقلها ، وجدت القوة فى النوعين مؤتلفة ، وتبين لى أن نقل مأساة أيسر لمن أوتى روعة العبارة ، وسعة اللفظ وقوة التصوير . لما فى القصة الماجنة من ضروب هزل تختلف كثيراً عن مثلها فى العربية ، وأساليب دعابة ، وألوان بديع ، تأبى على الناقل .

رأيت هذه القصة مليئة جناساً ، من كل نوع ، حتى فى اختلاف النطق ، وتباين التهجية ، وأصعب شيء أن تنقل جناساً فى الإنجليزية ، إلى مثله فى العربية ، وتحتفظ بالتماثل المراد فيهما ، والتشابه اللفظى بينهما ، فلا معدى لك من محاولة التقريب ، أو إن شق عليك ، من شرح العبارة للقارئين .

ورأيتها كذلك قد ازدحمت بفنون من « التورية » ، وهى لا تكاد تنقل إلى العربية لاستحالة التماثل فيها بين اللغتين . كما كثر فيها التلميح لأمثال قديمة أو أساطير غابرة ، أو عبارات مقتبسة من كتب ، أو أبطال خرافيين .

وقد عانيت كثيراً فى ذلك كله . وعنيت بالهوامش والشروح قدر عنايتى بالمتون ، ولم يسعفنى الشراح فى بعض الأحيان ، لأن عبارات بأعيانها أعجزتهم ، أو استغلق المعنى الحقيقى فيها عليهم . فاجتهدت فى حل ألغازها مع المجتهدين .

وتكاد هذه القصة تدنو من « المأساة » أو القصة المحزنة لأنها قائمة على « اتهام » بريئة ، وفضيحة عروس وهى أمام المحراب توشك على زفاف . وليس عجيباً أن يختلط فيها العنصر الجدى بالعناصر الفكهة ، لأن ذلك هو ما فعله المؤلف فى أكثر من قصة هازلة ، ونحن أبداً من شكسبير فى عجب عاجب ، فهو لا يضع رواياته مصنفة التصنيف الذى عرفناه ، بين مسلاة ، وملهاة ، ودراما ، أو ميلودراما ، عند المؤلفين

الذين سبقوه ، كميناندر وبلوتاس أو الذين جاءوا من بعده مثل كالديرون أو موليير . أو كونجريف أو شريدان ، بل نحسب كل ملهاة أدنى ما تكون إلى الحزن أو ألم القلب ، أو أحياناً إلى القلب الكسير ، فهو كذلك فى قصته « كوميديا الأخطاء » ، وهو أيضاً على هذا النحو فى « جهد حب ضائع » و « الليلة الثانية عشرة » .

ولكننا فى كل هذه الروايات الفكهة لا يخامرنا ، لحظة ، الشك فى أن النهاية ستأتى سعيدة ، والخواتيم ستعود موفقة حسنة . وهذا هو ما نلمسه من بداية قصتنا هذه . فليس ثمة مخادعة تضللنا ، ولا خطأ يواجهنا ، ولا مباغتة تبدهنا قبل أن نستعد لها ، ولا أزمة نجهل سرها كما يجهلها أبطالها . بل كل أكذوبة تقال نعرفها قبل سماعها . ولا نشك فى أنها ستُكشف وتبدو مع السياق حقيقتها . ففى قصة الكيد الذى كيد لهيرو تبدو الحوادث فى ظواهرها محزنة ، ويراها أشخاص القصة أنفسهم كذلك ، أما نحن الذين نعرف دقائقها ، فلا نجهل أنها لا تزال فى الدائرة التى تستمد منها « الملهاة » مادتها . لأن المأساة هنا تأتى إلينا بعد استعداد تمهيدى لها ، فلا يصاحبها انفجار فجائى ، ولا يقتضى الموقف خاتمة مخففة من وقعه ، كما يحدث فى أحد فصول « تاجر البندقية » .

ويصح لنا هنا أن نصف قصتنا هذه بقولنا إنها قصة تدور حول « مخادعة النفس » ، لأن شخصيتين فيها ، وهما بياتريس وبنيديك يظلان محاولين معرفة قلبيهما ، وكشف خبيئة عاطفتهما . وفى هذا النوع

من المسرحيات لا غنى للمؤلف عن البدار إلى تعريف النظارة بالأمر ليكونوا طيلة الوقت أعرف به من أشخاصها. وقد عرفنا من مطالعها فعلاً أن بياتريس تحاول جاهدة إخفاء عاطفة صادقة ، فلا نلبث أن نحس أن هذه الساخرة المتهكمة العابثة لن تمضى فى عبثها إلى النهاية ، بل ستنقلب إلى الجد ، وترفع الستر عن خدر حبها الدفين .

وإذا نحن تذكرنا هذا كله، استطعنا أن نفهم نقد الشاعر كولريدج لشكسبير من ناحية عنصر « الحادثة » فى رواياته ، فهو القائل: « إن كل اهتمامنا بالحادثة عند شكسبير منصب على الأشخاص ، لا عليها بالذات ، كما هو الحال فى روايات الكتّاب الآخرين جميعاً. فليست الحادثة عنده إلا قطعة من قماش يرسم عليها أشخاصه ، ومن هنا ينهض الشفيع له فى رسم شخصيتى بياتريس وبنيديك من نسق واحد وإبرازهما متماثلتين فى نزعة الغرور والكبرياء ، وإذا أنت نزعت من هذه القصة كل ما هو تزيد ظاهر ، وحشو لا ضرورة له ، أو ليس ثمة حاجة بالغة إليه ، أو على أحسن الفروض ، شخصيات الشرطى وزملائه الذين أدخلوا عليها افتعالاً ، وكان أقل منهم غباء كأشراط وحراس وافين بالغرض ، فماذا يبقى بعد ذلك فيها .

لقد شهدنا فى روايات الكُتّاب الآخرين أن المحرك الأكبر فى « الحادثة » أو « العقدة » هو دائماً البطل أو الشخصية البارزة ، أما عند شكسبير فليس الأمر أبداً كذلك . وقد يكون أحياناً كذلك . أى أن

الشخصية ذاتها هي التي تتألف الحادثة منها ، أو قد لا تتألف . فقد جعل شكسبير « دون جون » فى هذه القصة الأصل فى الحادثة ، ولكنه جاء به عارضاً ، ثم سحبه فلم يعد يسوقه إلينا و إن بدا العنصر « الشرير » فيها . وتركه شكسبير بغير مبرر للشر الذى ينزع إليه ، أكثر من وَصْفه بأنه أخ غير شرعى للأمير ، وشخص سوداوى حاقد مريض العاطفة . وعجيب من الشاعر الذى خلق لنا بعد ذلك شخصية « ياجو » فى رواية « عطيل » أن يدع « دون جون » بغير دافع ظاهر ، أو شفاعة واضحة .

والظاهر أن النقّاد لم يفهموا شخصية « بياتريس » على حقيقتها. لقد وصفها الشاعر « كامبل » بأنها « مستهجنة » . وأن المرأة الطبيعية لا يمكن أن تكون كذلك . ومن قبله ذهبت كاتبة تدعى « مسز أنشبالد » تقول : « لو كان عند بنيديك وبياتريس أدب ، أو ذوق ، أو رفعة خلق ، وأبيا أن يسترقا السمع على غيرهما ، لجمدت القصة فى مكانها ، أو لاقتضت طريقة أخرى للسير بها فى مجرى صالح » .

ولم نكن نرتقب من « جول ليمتر » النقادة الفرنسى الكبير أن يسير فى هذا الطريق ذاته ، فيقول عن بنيديك وبياتريس إنهما « لا يطاقان » بل همجيان يرميان إلى التراشق بالمجون والذكاء ، و « حيوانان ماكران » . .

ولكن الرد على هؤلاء النقاد يسير ؛ وهو أن شكسبير فى مطارحات الحب يجرى على طريقة واحدة ، فى مختلف مسرحياته ، وهى طريقة « اللف والدوران » أو الاستخفاء . فقد اتخذها فى « جهد حب ضائع »

وفى « عطيل » ، بل أيضاً فى « روميو وجولييت » حين جعل الشرفة فاصلاً بينهما ، ولا يمكن أن يفوتنا من بداية قصتنا أن بياتريس امرأة . وأنها ينبغى أن يُظفر بها ، بل لا نتصور لحظة واحدة أنها قد قُدّر عليها أن تجلس فى ناحية باكية والهة منادية « ألا من زوج. . . ألا من زوج » ! فإن كل نكاتها الساخرة تدور حول هذا الأمر بالذات ، كما لا يفوتنا من البداية أن « بنيديك » هو الرجل الذى تريده وأنه الفتى الذى قُدّر لها أن تحبه .

وليست مجانتهما فى الواقع إلا مجانة شكسبير نفسه ، ولو جرّدنا أنفسنا من « الوثنية » ، أو عبادة العبقرية ، عند التحدث فى أبلغ مراتب الإعجاب عن شكسبير لأقررنا أن مجونه ، كما يبدو على ألسنة شخصياته المضحكة ، ومهاذير قصصه ، كان المادة التى تتألف منها الأساليب الشائعة فى بلاط الملوك على عهده ، ومجالس الأشراف والعلية فى زمانه . ولنتصوّر فتى من الريف تلوح عليه مخايل الذكاء ، أو بوادر العبقرية ، جاء إلى لندن ليجرب فيها حظه ، فإذا هو يجد لهجة الكلام بين السادات ، وأهل البلاط ، وعلى المسرح الملكى ذاته ، ملأى بفنون « التورية » و « الجناس » والكلام المنمق ، فلا غرو وهو الفتى المتلهف على الظفر بمكانة مرموقة إذا هو التقط هذا النوع من الكلام ، وراح يحذقه ويبرع فى فنونه ، ويملأ مسرحياته الفكهة بأعجب ألوانه .

ولسنا ننكر أن فى مطالع هذه القصة التى ننقلها شيئاً من التنكيت

« الرخيص » . ولكن إذا نحن نفيناه منها ، أو « غربلناه » ، وراعينا أن بياتريس وبنيديك لم يكن بينهما غير « مراشقات » بالنكت ، ووقفنا عند مشهدهما وهما يكشفان عن قلبيهما الصادقين عقب انصراف الجمع من الكنيسة ، أدركنا مدى التأثير الذى يتجلى من خلال ذلك التظاهر بالسخرية ، واصطناع الاستهزاء المتبادل بينهما .

ويُروى أن جماعة من الأطفال والولدان شاهدوا هذه الرواية تمثل على المسرح وكان أحد الممثلين القديرين يؤدى دور « بنيديك » ، فلما انتهى التمثيل وصحب الأطفال إلى المحطة أحد مدرسيهم ، وقفت صبية فوق الإفريز ورفعت صوتها ، كأنها من فرط السرور فى غيبوبة ، قائلة : « لا يتصور أحد رجلاً بديعاً على هذه الصورة . . . » وهى شهادة توحى بأن أحسن ما فى شكسبير لا يزال شيئاً يستطيع الطفل أن يقرأه ، أو كما قال الأديب « تشارلس لام » : « درساً مليئاً بكل خيال بديع ، ورأى جميل ، وفعل نبيل . . . »

ولا نستطيع أن ننسى أن لهذه القصة بالذات مزية انفردت بها عن سائر المسرحيات الأخرى التى كتبها الشاعر ، وهى أنها من أولها إلى آخرها إيطالية . وأدنى ما تكون من روح النهضة أو البعث الأدبى الذى ظهر فى الغرب بعد القرون الوسطى ، حتى لتجد كل أشخاصها يتكلمون من « الكتب » ، وهم جميعاً قراء حتى النساء منهم ، أو على الأقل « بياتريس » فهى قد قرأت « المائة نادرة » ، وبنيديك فهو يتحدث عن « لياندر » ،

و « ترويلاس » وينظم شعراً . وكلوديو شاعر كذلك ، فهو ليعلقها على قبر الفتاة المسكينة التى قتلها بقسوة تهمته .

ولم يكن مفر لشكسبير ، وقد أبرز روح تلك النهضة الماجن ، من اقتباس الغدر الإيطالى ، فجاءنا بشخصية « د والمكيدة التى دبَّرها للفتاة ، ولقد ألِفَ شكسبير تكرار نفسه فى فهو يردد أشياء فى هذه ، كان قد جاء بمثلها فى تلك ، مع تنويع ينفى الملالة ، ويحفظ الجدّة . فلا يمكن أن يقال إن هذا الت دليل نقص فى الخيال ، أو عوز إلى الابتكار ، ولكنه فى الو ثروة ، أو مراجعة حساب ، وهو لا يأنف أن يستعير حادثة من أ أو أى إنسان ، كأنما يقول « أعطونى » قصة إيطالية ، أو « أفلوطرخس ، أو نادرة من أساطير الهند ، وأنا أصطنع لكم منها أو « هملت » ، أو « روميو وچولييت » .

وهكذا نرى هذه القصة ملأى بالأصدية ، ونشهد أصد فى آفاق غيرها من قصصه ، فليست شخصيتا بياتريس وبني صورة أخرى من « بيراون وروزاليند » ، كأنما قد مضى الشا من كيس نقوده ، ويأخذ من حرّ ماله ، ويهب منه أبطاله ، بخياله ، ويتقدم إلى الخلود مؤمناً بأنه الجدير به ، الظافر من البشر باق على الزمان . . .

عباس -

حياة شكسبير

كتب خلق كثير عن حياة شكسبير ، واختلف الرواة فيها أيما اختلاف ، ولست أريد أن أعرض لهذا كله : أو أتقصاه من جميع جهاته ، ولكنى سأجتزئ هنا بالوقائع الثابتة . والأحداث المحققة ، فلا أتحدث عن آبائه الأولين . فإن هذا الاسم « شكسبير »كان شائعاً فى القرون الوسطى مدوناً فى عدة أقاليم من الجزيرة البريطانية وكان قومه من الفلاحين : فهو فلاح من سلالة زراع وحراث يعملون فى الأرض ، والظاهر أن أباه « جون شكسبير » كان أخا نعماء — وصاحب شأن ، فى استراتفورد ، وتزوج « بمارى أردن » وهى فتاة ورثت عن أبويها أرضاً ودوراً ولكنها لم تتلق شيئاً من العلم وقد شوهدت بصمتها فى عدة وثائق . ولم يثبت أنها كانت توقع باسمها . وكان « وليم » ثالث ابن رزقاه . وأكبر الأحياء من أولادهما ، بعد وفاة أخويه الأولين : وكان مولده فى شهر أبريل عام ١٥٦٤ بقرية « استراتفورد » القائمة على ضفاف نهر إيفون .

وكان أبوه يومئذ فى أحسن حال . وأرغد عيش ، ولم تكد تنقضى على مولد « وليم » ثلاثة أشهر أو نحوها : حتى تفشى الطاعون فى القرية ، وأخذ يحصد أهل الفاقة من بينها حصداً . فأقبل أبوه على إنقاذ الناس من هذا الشر المستطير كريماً سمحاً غير ضنين ولكنه بعد بضع سنين غرق فى الديون ، وأحاطت به المتاعب ، فاضطر إلى رهن عقار زوجته ، وانصرف عن الاشتغال بالشئون البلدية والقروية فى إقليمه .

طفولته وشبابه

وما لبث أن واجهته نفقات تعليم أولاده « وهم خمسة » ثلاثة صبيان . وابنتان أصغر سناً من وليم ، وكان الصبية يستحقون التعليم فى المدرسة الأولية بغير نفقة فادخلوا فيها ، و بدءوا يتلقون مبادئ فى اللاتينية ، والنحو والصرف ، والأدب وتوانى لوليم فيما بعد شيء من علم الفرنسية ، فانتفع به فى روايته التاريخية « هنرى الخامس » ، ولكنه لم يقض وقتاً طويلاً فى المدرسة ، لتدهور أحوال أبيه . وحين بلغ الثالثة عشرة ، بدأ يشتغل « قصاباً » وهى الحرفة التى أصبح أبوه يعتمد عليها فى كسب قوته .

زواجه

وكانت تقوم على مقربة من استراتفورد دار ريفية معروشة السقوف ، لا تزال تعرف باسم « كوخ آن هاتاواى » ، وكان يقيم فيها آل هاتاواى ، إلى عام ١٨٣٨وكان ريتشارد هاتاواى والد « آن » غنياً ، فلما قضى نحبه ، ترك ضيعة ورثها عن آبائه الأولين ، فتولت رعايتها من بعده أرملته وأكبر بنيه . وكان نصيب كل بنت من بناته لا يتجاوز ستة جنيهات وثلاثة عشر شلناً وأربعة بنسات ، وهو ما يساوى نحو مائة وستين جنيهاً فى أيامنا هذه .

وقد تزوج شكسبير بالفتاة « آن » حين تجاوز الثامنة عشرة وكانت أكبر منه بعدة سنين ، إذ كانت يومئذ تبلغ السادسة والعشرين .

ولا يحدثنا التاريخ كيف كان قرانهما ، على هذا الفارق فى العمر ، ولا كيف كان عيشهما ، ولكن الثابت أن حياتهما لم تكن هنية رغيدة وقد رزقا بنتين وولداً .

حياته الأولى

ولئن رأيناه يقول عن آن . . . إن لآن هاتاواى ، وما أدراك من آن هاتاواى ، سبيلا لفتنة القلوب ، وسحراً يجتذب الأفئدة . . . فقد عجزت عن كبح جماحه ، أو قص جناحه ، أو رده عن هواه ، فقد مضى يلهو بين أهل قريته ، ولم تقنعه صنوف اللهو المألوفة فى محيطه ، فانطلق يختلط بقرناء السوء ، وشرار الصحب ، ويُغير على أماكن الصيد التى يملكها أهل اليسار والسلطان ، فيسرق الغزلان ، ويصطاد الأرانب ، حتى اضطُر فى النهاية إلى مغادرة القرية ، وهجرة الأهل والنزوح عن البيئة التى نشأ فيها عدة سنين .

وقد اعتدى على حدائق السير توماس لوسى فى شارلكوت أكثر من مرة فى تلك الأيام ، وكانت العقوبة يومئذ لا تقل عن الحبس ثلاثة أشهر ،

ودفع غرامة تقدر بثلاثة أمثال قيمة التلف الذى أحدثه فلم يلبث أن اشتد حقده على ذلك الوجيه فراح يثأر منه بأبيات من الشعر علقها على أبواب حدائقه ، وهى فعلة أثارت عليه غضب ذلك الكبير . وطالب بمزيد من العقاب ، فلم يسع شكسبير سوى الفرار إلى لندن فى عام ١٥٨٥ للبحث عن عمل يسد منه أرماقه .

حياته فى لندن

وتختلف الروايات بسبيل محاولاته الأولى عند قدومه إلى لندن ، ولكن الثابت أنه لم يلبث بعدئذ أن اتجه إلى مهنة الممثل ، ويقال إنه بدأ يؤلف روايات تمثيلية ، أو يقتبس أخرى من الكتاب ، ويعيد صياغتها . ويحوّر فى ألفاظها وعباراتها ، ثم يعرضها على الفرق التمثيلية ، فتشتريها ، وتنتقل ملكيتها من يده . وكان من عادة مديرى هذه الفرق إحالة الروايات على المراجعين قبل عرضها على المسرح ، وهذا ما حدث لروايته الأولى « جهد حب ضائع » التى يغلب على الظن أنه وضعها فى عام ١٥٩١ ، فقد روجعت عام ١٥٩٧ ونُشرت فى العام التالى باسمه . وكانت هذه هى أول مرة يبدو فيها اسمه منشوراً على صدر كتاب من قلمه وتأليفه . والظاهر أن حوادثها لم تُقتبس كأكثر مسرحياته من قصة قديمة أو كتاب سابق . كما يبدو

فى روايته « روميو وجولييت » (١٥٩١ — ١٥٩٣) وهى مأساته الأولى ، فقد توالى اقتباس قصتها عدة مرات منذ وُضعت فى القرن الثانى قصة « أنتيا وابروكوماس » فى اللغة الإغريقية ، وكانت معروفة فى طول أوربا وعرضها ، وتكرر ظهورها نثراً وشعراً عدة أجيال .

أما قصة تاجر البندقية (١٥٩٤) فقد رجع فيها إلى عدة مصادر . من بينها مجموعة قصص إيطالية كُتبت فى القرن الرابع عشر ومن المرجح أن تكون أكثر مسرحياته قد استغرقت زهاء عشرين عاماً من عمره ، أو بين السابعة والعشرين والسابعة والأربعين أى بمعدل روايتين فى العام .

أهل السلطان الذين رعوه

وكان له بين الأشراف راع يدعى « الأرل أوف سلوتامينون » وقد وجه إليه كثيراً من أغانيه ، وإن لم يذكر اسمه صريحاً ، كما أبدت الملكة « إليزابث » نحوه شيئاً من العطف فى عام ١٥٩٤ وطُلب عقب تتويج الملك جيمس الأول للتمثيل فى حضرته وكان تمثيل رواية « العاصفة » ولعلها آخر ثمار عبقريته بمناسبة قران الأميرة إليزابث بالأمير فردريك عام ١٦١٣ .

عودته إلى استراتفورد

وما كاد يتنصف به العمر حتى بدأ يهدأ ويتدبر مطالب الحياة ، ويسعى جاهداً فى معاودة العيش فى العشيرة ، والإخلاد إلى الحياة المنظمة ، فعاد إلى استراتفورد ، بعد هجرتها أحد عشر عاماً ، وإن ظل يزورها مرة على الأقل فى كل عام ، فاشترى فى عام ١٥٩٧ أكبر بيت فى القرية لقاء ستين جنيهاً . وكان للبيت مخزنان للغلال وحديقتان ، فعكف على إصلاحه ، وعنى بالحديقتين ، ولعل هذا القدر اليسير من المال الذى اشتراه به يساوى اليوم ١٥٤٠ جنيهاً . وقد سمى يومئذ « المكان الجديد » وجعل الناس يدعونه قرية « الغنى الوجيه » . وزاد فى نفوذه أنه استعان بأبيه على الظفر بشعار النبالة ، وأصبح معدل إيراده السنوى من التمثيل والتأليف المسرحى كبيراً . وعندما تم تشييد مسرح « جلوب » فى عام ١٥٩٩ بدأ يتلقى حصة من أرباحه ، فارتفع إيراده إلى مائة وثلاثين جنيهاً أو ما يساوى اليوم نحو ثلاثة آلاف ، ثم نما على الأعوام أيضاً ، فأصبح رب ضيعة كبيرة وكان مولعاً بالقضايا كثير الدخول فى المنازعات أمام المحاكم . وكثيراً ما كان يخرج منها كاسباً موفقاً .

١٩

فى أخريات أيامه

وقد أخرج أحسن رواياته فى تلك الفترة السعيدة من حياته وهى جميعاً قصص مرحة خفيفة الظل ، ثم تلتها بعد عام ١٦٠٠ ثلاث أخرى يغلب عليها الجد وهى يوليوس قيصر ، وهملت ، وعطيل .

وفى عام ١٦٠٦ أتم « مكبث » ثم « الملك لير » التى مُثلت فى بلاط « هوايتهول » خلال شهر ديسمبر عام ١٦٠٦ .

والظاهر أنه انصرف عن التأليف للمسرح بعد عام ١٦١١ . ولبث مقيماً فى استراتفورد أكثر أيامه .

وبدأت صحته تعتل فى بداية عام ١٦١٦ . ولكن لا يعرف أحد أسباب وفاته وكان ابنه الأوحد « هامنت » قد قضى نحبه قبل ذلك بعدة سنين ، وقد ترك من بعده زوجه وابنتيه « سوسنة هول » و « جوديث كوينى » . وكانت منيته فى الثانية والخمسين . ودفن فى كنيسة استراتفورد وكتبت على قبره أبيات من شعره البديع .

مقدمة المسرحية

مصادر القصة

من أين استقى الشاعر موضوعه

تحوى هذه المسرحية المرحة حادثين ، أولهما يتصل بثلاثة أبطال ، وهم « هيرو ، وكلوديو ، ودون جون » ، ويكاد هذا العنصر يبدو جاداً فى جملته ، لا فكاهة فيه ، والآخر مرح كله ، ويتصل بشخصيتين بديعتين ، وهما « بياتريس » و « بنيديك » . وإلى جانب هذين القسمين ، عنصر إضافى ثالث تسرى الفكاهة فى جميع نواحيه . وهو يدور حول شرطى عجيب يدعى « دوجيرى » وصاحب له يسمى « فارجس » والحراس الذين يعماون بإمرتهما ، ويكشفون المكيدة التى كادها الحقد لاتهام « هيرو » العذراء بالخيانة والإثم . ولو حذفنا هذا العنصر الفكه من القصة ، لفقدت خير ما فيها من متعة . وجُردت من أبدع ما احتوته من فكاهة .

وقد استقى شكسبير موضوع المسرحية من مصدرين هما :

١ — قصة سان تمبريو دى كاردونا التى حوتها مجموعة قصص كتبت فى اثنين وعشرين جزءاً ، وطبعت باللغة الإيطالية عام ١٥٥٤ لمؤلفها « ماتيو بانديللو » أسقف آجن .

وكانت قد تُرجمت إلى الفرنسية فى عام ١٥٨٢ واشتهرت فى عهد شكسبير وأكبر الظن أنه عرفها ، أو ظفر بنسخة منها فى الإنجليزية ، فقد نُقلت إليها فى أيامه أو قبيل ظهوره .

وليس من شك فى أن موضوع هذه القصة التى ننقلها للعالم العربى مأخوذ من قصة « سان تمبريو » لتشابه الحوادث فيهما ، وإن كانت القصة القديمة قد جرت أحداثها فى « ميلانو » . وهذه فى مسينا ، كما تماثل اسم البطلة فى القصتين وهو ليوناتو وورد فى الرواية الإيطالية كذلك اسم « دون بدرو » ملك أرغونة . ويبدو أن شكسبير حذف شخصيته فى القصة القديمة ، وهى زوجة ليوناتو ، وأم هيرو أو أنه أوردها فى بداية الفصلين الأول والثانى ولكن إدارة المسرح أغفلتها ورأت ألاّ ضرورة لها .

والواقع أن عشر بطلات فى روايات شكسبير جئن فيها بغير أمهات ، ونعنى منهن « بياتريس »و « هيرو » فى قصتنا هذه . وكورديليا وديدمونة وأينوجن وإيزابيلا وميراندا وأوفيليا و بورشيا وروزالند .

وفيما يلى الحوادث التى استقاها شكسبير من بانديللو :

١ — طريقة الوساطة فى خطبة كلوديو لهيرو .

٢ — فسخ الخطبة فى اللحظة الأخيرة والعروسان أمام الهيكل .

٣ — مخادعة بوراشيو لكلوديو وتضليله .

٤ — إغماء هيرو وادعاء وفاتها .

٥ — زواجها من جديد .

٢ — قصة « أريودانت وجنيفره » التى نقلها إلى الإنجليزية السير هارنجتون فى عام ١٥٩١ من الجزء الخامس من قصص « أريوسطو » وهو الجزء الخاص برواية « أورلاندوفيرويوزو » ، وكانت قد ظهرت لها ترجمة قديمة فى عام ١٥٦٥ . ولكن لا نحسب شكسبير اطلع عليها أو استمد منها موضوعه .

ولم يكن اقتباسه منها كثيراً . فقد أخذ حكاية اختباء كلوديو فى الحديقة ليطلع بعينيه على خيانة حبيبته ، كما استمد تمثيل مرجريت للدور « هيرو » إفكاً وبهتاناً .

أما المكيدة وشخصيتا بياتريس وبنيديك ، ومحاوراتهما البديعة ومواقفهما الممتعة ، وأدوار « دوجبرى » ، وصاحبه والحراس والمشاهد الفكهة التى حوتها القصة فهى جميعاً من مبتكر الشاعر العبقرى ووحى خاطره الخصيب . . .

أبطال القصة

يحسن قبل أن يبدأ المرء قراءة القصة أن يعرف شيئاً عن شخصيات أبطالها ، والصلة بينهم ، ومعالم أخلاقهم ومنازعهم حتى تتفتح له فصولها . ويسهل عليه متابعة مشاهدتها ، وما نحسب أحداً يجد روحاً إلى حديث إنسان ، أو سكوناً إلى مجلسه ، إذا لم يؤت علم شيء عن ماضيه ، أو حاضره ، أو مكانه من الناس .

ونحن هنا محاولون أن نرسم معالم الأشخاص ، فى غير استطراد ، تاركين القصة ذاتها تتكشف لهم عند التنقل بين مشاهدها المتتابعة .

مدار الأحداث

تدور القصة حول واقعتين غراميتين ، يصح أن تُعد كل واحدة منهما منفصلة من الأخرى . وإن اختلطتا ، وترابطتا ، لأنهما مختلفتان اختلافاً بعيد المدى ، حتى لتستمد كل واقعة من تناقضها والأخرى قوة وتزداد توكيداً ، وليس من شك فى أن أهمهما شأناً ، لجد موضوعها وخطر أمرها ، هي حب كلوديووهيرو ، فهى تبدأ « غراماً » ثم تكاد تنقلب إلى مأساة ، قبيل أدوارها الختامية ؛ وأما الأخرى ، وهى غزل يبدأ

سخرية ، ثم يتطور حتى ليتراءى أشبه بكراهية و يتخلله مجون ، ومطارحة بعبث ، واستهزاء ، ثم ينتهى هو أيضاً بحب وإعلان ، بعد مداراة وكتمان ، ثم إلى زفاف وقران .

ولا ريب فى أن كلوديو ، هو البطل الأول ، فلا معدى من إحلاله فى الطليعة ، عند رسم شخصيات الأبطال .

كلوديو

هو فتى من فلورنسا أصاب حظوة بالغة عند دون بدرو أمير أراجون ، فهما لا يكادان يفترقان . حتى لقد أحفظت هذه الحظوة أخاً للأمير يدعى « دون جون » وجعلته يعتقد أن هذا الفتى قد قام على أنقاضه . وأكبر الظن أن هذا التوفيق الذى أصابه كلوديو أثار فى نفسه شيئاً من الاعتداد بنفسه ، حتى بدا شديد المخافة على كرامته ، يخشى أن يتأذى كبرياؤه من أقل بادر ، فلم يكد يوحى دون جون بأن هذا قد غدر به وراح يطلب الفتاة لنفسه ، حتى اصطنع الاستخفاف بالأمر ، ليخفى الجرح الذى أدمى كبرياءه ، قبل أن يمس حبه ، وحين عاد هذا الذى ينفس عليه مكانه عند أخيه يحدثه عن خيانة «هيرو» ثار لكرامته ، ولم يتريث حتى يتأكد الحق . ولكنا لم نلبث أن رأيناه حين حصحص الحق ، يعترف بخطئه . ويرتضى أى عقاب يفرض عليه تكفيراً واستغفاراً من فعلته .

ويبدو من سياق القصة فى فصلها الأول أن حبه للفتاة لم يأت فجأة ولكنه نما فى نفسه رويداً . وإن لم ينبعث فى حماسة إلى إظهاره لها . كما لم يبد كسير الفؤاد حين مضى يستمع للوشاية بها ويصدق قول الواشى ؛ وكان المرتقب أن يثور عليه ويطالبه بإثبات قوله . ولكنه غضب على الفتاة وأقسم أن ينتقم منها . بل لم يُبد شيئاً من الأسى حين تم له ما أراد من الثأر . فقد اكتفى به ، وطلب إلى بنيديك أن يطرد بالمجون الهم عن نفسه .

ولكن ذلك كله على غرابته ، لا ينفى أنه أحب الفتاة حبًا بالغًا لم يحل دون إظهاره غير اعتداده الشديد بنفسه .

هيرو

رسم شكسبير شخصيتها على النقيض من ابنة عمها ، فهى تبدو حيية منطوية على نفسها . على حين تلوح الأخرى برزة مستقلة فصيحة ماجنة كأن كلا منهما تُبرز بهذا التناقض شخصية صاحبتها . ولكننا نحس دائماً وجودها ، وإن أقلّت من الكلام ، ونستشعر وقارها وحشمتها ، ولا يقع كلامها على قلته قليل الخطر ، بل يكسب الإعجاب به على إيجازه ، وهى لا تخلو من ذكاء ومجانة ، كما بدأ فى تنفيذها حيلة اُتفق عليها لحمل ابنة عمها على الرضى عن صاحبها الذى سلطت عليه النكات اللاذعة وبادلته السخرية المريرة ، وقد شهدناها حين شهر خطيبها بها

فى الكنيسة على رؤوس الأشهاد ، تلوذ بالصمت ، على فرط اضطرابهما للتهمة النكراء التى رُميت بها ، فلم تفتح فمها لتدافع عن شرفها إلا قليلا ، حيال غضبة أبيها وثورة نفسه ، ولم تظهر عقب إغمائها إلا فى المشهد الأخير حين ثبتت براءتها ، وفى هذا الموطن رأيناها تصفح عن «كلوديو» من أعماق قلبها ، ولا توجه إليه كلمة ملام واحدة .

بنيديك

فتى من المحسوبين على الأمير وأصحاب حظوته . وقد صوره شكسبير نقيضاً لكلوديو ، كما بدت هيرو نقيضة لابنة عمها ، وإنه ليشق على المرء تحديد شخصيته مما كان الآخرون فى القصة يقولونه عنه ؛ فإن نحن سمعنا للذعات « بياتريس » وغمزاتها ، أسأنا بعض الظن وإن نحن تدبرنا مديح الأمير له ، عجبنا لها كيف قست عليه إلى هذا الحد .

ويلوح لنا أن تظاهره بكراهية النساء مرجعه إلى شيء فى خليقته ألف السكون إليه ، وهو « العادة » حتى لقد قال عن نفسه إنه الجبار المشهود له بالقسوة عليهن ، وإن كان قد أقام فى الواقع فارقاً ظاهراً بين رأيه الصادق الخالص وبين الفكرة التى أعلنها وادعى احترافها ، وأشهد الناس عليها ، وقد رأيناه يوحى إلينا بكلامه أنه لا يرضى من المرأة التى لا يتردد فى الزواج بها بالشيء اليسير من المحاسن ووجوه الفضل ، ولكنه يعترف

بأن ما يراه فيها ويؤمن به قد يتحول إلى حب إذا اهتدى إلى المرأة المثالية التى يشترطها .

وهو يتلقى نكات بياتريس وغمزاتها راضياً غير غاضب ويجيب عنها ببراعة ظاهرة ، ويعتز بفكاهته وحذقه للنكتة ، ولا بأس عنده من أن تأتى على حسابه وتوجه إليه ، إن جاءت طريفة مليحة ترضيه ، وإن كان قد غضب فى ذات نفسه لنكتة واحدة رمته بياتريس بها . وهى وصفه بأنه « مهذار » الأمير فقد اعترف أنها أوجعته ، وأحدثت أثراً بالغاً فى خاطره .

وقد عرفنا به فى مطلع القصة الرسول الذى قدم ليُنبئ القوم بقرب مقدم الأمير ، فقد قال عنه إنه قد عاد إلى المعارك مرحاً كما كان أبداً . وهو رأى وجدنا جميع شخوص القصة يقرون الرسول عليه .

وقد جعلته طبيعته الرقيقة ، أو سلامة فطرته : فريسة سهلة لمكايد الأمير وصاحبه ، وعرضة لسخرية أصدقائه وشماتتهم به ، ولا ريب فى أن التضحية التى بذلها حين اعترف بأنه المغلوب المندحر كانت عميقة الأثر فى نفسه الشفافة وعزته ، ولكن علمه بأن بياتريس تناوى من الحب له ، كان يتغلب على تظاهره بكراهية النساء . فلم يلبث أن صدق الحيلة التى احتالها الأمير لإيقاعه فى الحبالة ، ولم يكن ثمة شك فى حبه حين استطاع التغلب على بغضائه للزواج ، ولم تكن هى لتحمله على مطالبة صديقه كلوديو بالخروج إلى المبارزة ركوناً منها إلى الحب الذى يشتعل لها فى صدره حتى استجاب لها ، ونزل على حكمها .

أما ذكاؤه فقد تجلى فى عدة مواقف فى القصة فهو الأوحد الذى لبث فى مشهد القران الذى انتهى بمأساة ، وإغماء العروس ، ساكن الأوصال ، مستريباً بالفرية التى افتريت عليها . بل هو أول من ذهبت به الظنون إلى الشقى الذى دبر تلك المكيدة .

ولو أننا فصلنا واقعة حب كلوديو وهيرو من صلب الرواية لما أبقينا منها إلا على مواقف ألية ، ومشاهد لا يستروح الخاطر إليها ، ولكن الشاعر العبقرى جاء بهذه العلاقة بين بنيديك وصاحبته لتكون تلطيفاً بديعاً ، ومزاجاً سائغاً ، وتوازناً بهيجاً ، مع العناصر الجديدة التى تتألف القصة منها . حتى لقد تشابها فى الاعتداد بالذات ، والحرص على الكرامة ، والشخصيتين الأخريين وهما كلوديو وحبيبته . وإن كان اعتدادهما يبدو مشبعاً بمجانة بديعة وسخرية فكهة .

بياتريس

إن أول ما يبدو هنا عند تحليل شخصية بياتريس هو تماثلها العجيب لشخصية « بنيديك » ، فهى أبداً مرحة . خفيفة الظل ، راضية بالحياة ، وكل منهما مستطرد فى مجانة ممتعة على حساب الآخر . متقبل غمزاته ، غير ضائق بها ، معتز ببراعته فى الرد عليها ؛ فلم نر بنيديك متبرماً إلا بنكتة واحدة منها ، وهى قولها عنه كما أسلفنا « مهذار الأمير » . ولم نشهدها

غضبى من نكاته ، إلا من غمزته ، حين قال إنها « محفوظات » استذكرتها من كتاب « مائة النادرة » وهما على حد سواء فى إظهار النفور من الزواج ، وفى التغلب عليه حين سماع أقوال الآخرين عما يكابده صاحبه من آلام الحب وتباريحه .

وهى تحب ابنة عمها « هيرو » أصدق الحب ، وتؤمن ببراءتها من التهمة التى رُميت بها ، حين صدقها الآخرون حتى أبوها ، وتحمل بنيديك على قتل كلوديو عقاباً له على ريبته بابنة عمها .

أما نفورها من الحياة الزوجية ، كما نفر منها بنيديك ، فلم يكن إلا تظاهراً ومراءاة . وقد بدت لنا فى لهفة خفيفة على القران حين ظفرت به ابنة عمها من قبلها . فقد مضت تزفر قائلة « ألا من زوج ألا من زوج »! ، وهى صيحة هيهات أن تنبعث من قلب للزواج كاره . . .

دون بدرو

هو الأمير الذى يدين له « كلوديو » و « بنيديك » بالفضل فى وثبتهما إلى الشهرة والمجد ، فقد أراد أن يشبع ولوعه بالمرح واللهو فجمع من حوله صاحبيه هذين ، ومضى يعنى بهما ، ويطلب لهما الخير جاهداً ، حتى لقد تولى بنفسه مفاتحة « هيرو » فى أمر الزواج بكلوديو حتى ظفر له بها ، وهو الذى أصلح بين بنيديك وبياتريس . بتلك الحيلة

اللطيفة التي دبرها ، ولكنه بجانب هذا العنصر الطيب الكريم فيه لا يزال يشارك صاحبه « كلوديو » فى سرعة تقلبه ، وتصديقه لما يقال له . واستسلامه لتضليل المضللين . وقد لقى جزاءه بذلك الاعتراف الصريح الذى أدلى به « بوراشيو » حين قبض الحراس عليه .

ليوناتو

هو حاكم مسينا ، المدينة التى وقعت فيها أحداث القصة ، كما يقول المؤلف فى بيان « أشخاص الرواية » ؛ ولكن منصبه هذا . أو اشتراكه فى الحياة العامة ، لا أثر له فيها . لأن مواقفه خلال فصولها متصلة بحياته الخاصة وكل خطره وشأنه أنه والد « هيرو » التى أحبها أشد الحب ، حتى لقد رأيناه حين شهر بها كلوديو على الملأ ، يفقد رباطة جأشه ، ويؤثر الموت على الحياة . واحتمال هذا العار الذى جلبته على بيته وعشيرته .

وقد رأيناه يشرح مدى حبه لها ، ويكشف عن مبلغ اعتزازه إياها ، ولئن عبنا عليه ضعف الإيمان ببراءتها ، وسرعة تصديقها لما نُسج من الإفك حولها . فلا يزال له العذر ، حين رأى ثلاثة شهود كبار يثق بهم يقرون أنها الأثيمة الجانية .

وليس من شك فى أن الحفاوة التى لقى بها الأمير وصاحبه تدل على طيب فطرته وكرمه ، وبحبوحة نفسه ، حتى لا أثر فيها لكبر أو غطرسة

أو ازدهاء ، فقد راح فى معاملته للشرطة والحراس يبدى جانب الرفق ، ويصطبر للثرثرة ، ويستأنى لسماع كلام لا يفهم منه شيئاً، كما كان يتقبل نكات «بنيديك» بالروح ذاتها التى كان هذا يرسلها. وهو يلوح لنا فى مختلف مشاهد القصة ومواقفها الزجل الهين الذى رققت الرفاهية من خليقته ، على النقيض من كلوديو الذى أفسدته صعدته إلى الشهرة والعبث البعيد .

ولم يتردد هذا الشيخ على ضعف بنيته فى مجابهة الوشاة فى حق ابنته وتحديهم ومغاضبتهم ، وإذا لم يكن هذا التحدى قد ظهر فى حرارة اللحظة بل بدا فيما بعد . عقب التروى والتفكير ، فإن ذلك كله شاهد على شجاعته .

أنطونيو

هو أخوه ، وليس له دور كبير فى القصة ، فلا يبرز على أحسنه ، إلا فى مطلع الفصل الخامس حين يتحدى الأمير وصاحبه ؛ ويظهر على تقدمه فى السن ، شجاعة رائعة ، وحماسة متقدة ، فى الدفاع عن شرف ابنة أخيه .

دون جون

هو شخصية الشرير فى القصة ، والمسئول عن كل المتاعب التى حلّت بربّ البيت وأهله ؛ فحدة المزاج ، والكآبة الملازمة ، والغيرة الكظيمة ، كلها بواعث قوية على ما نرى من نذالته وسوء مسلكه ؛ فلا نجد فى القصة شيئاً يبرئه من الإثم ، أو يكفر عن سيئاته ، ولعله الحقد الذى كان يأكل قلبه على كلوديو ، الذى كان يصفه بأنه « محدث النعمة » وأنه ارتفع على أنقاضه ، فلا عجب إذا رأيناه فى وسط هذه الطبائع المرحة الفرحة بترفها ونعمائها ، مناقضاً لها على خط مستقيم ، فلم يكن ليبتسم يوماً للحياة ، ولا الحياة ابتسمت يوماً له ، ولكنه لبث حامضاً ، كئيباً ، ضجراً ، متبرماً ، يجمع من حوله أتباعاً على غراره ، وخولا من أشباهه ؛ وهو أبداً المقل من الكلام ، المتحفظ ، المبدى ضجره وبرمه وبروده لكل إنسان ، حتى ليقول عن نفسه إنه ليؤثر أن يكون مستهدفاً للسخرية والامتهان على أن يغتصب من أحد حبًّا ، أو ينتزع من قلب ودًّا . وقد استمكن الحقد منه على كلوديو فلم يتردد فى تدبير أية حيلة للإساءة إليه حتى لقد أجزل العطاء لمن ارتضى أن يتولى ذلك عنه ، كأنما قد وُكّل بأن يدمر سعادة الناس ويخلق لهم المتاعب ، ويرنق عيش أصحابه . . .

بوراشيو وكونراد

هما تابعا « دون جون » اللذان أعاناه على تدبير المكيدة ، أما الأول فهو الذى اقترحها عليه وتولى التنفيذ ، واستغل الوصيفة مرجريت الساذجة فى تضليل كلوديو . ولكنه حين أدرك أن فعلته قد انكشفت لم يتردد فى الاعتراف . وترك فى نفوسنا أثراً حسناً من ناحيته .

وليس لكونراد دور يذكر فى الرواية إلا مجرد الشريك السلبى لبوراشيو ، والزميل الذى سمع نبأ المكيدة منه ، حين كان الحراس يسترقون السمع عليهما .

مرجريت وأرسولا

مرجريت صاحبة بوراشيو والمشتركة معه على جهل أو حسن نية ، فقد حملها على تمثيل دور « هيرو » أو الظهور ليلا فى الشرفة ، لينخدع كلوديو ، ويعتقد أن هيرو خائنة .

أما أرسولا فهى الوصيفة التى حذقت دورها فى الحيلة التى دبرت لبياتريس ، حتى تقتنع بأن بنيديك يحبها . وهى الحيلة التى أراد بها الأمير دون بدرو أن تثنى بياتريس عن غيها ، ويعدل بنيديك عن مجونه ، ليقرب بينهما . ويدفع بهما إلى مصارحة الآخر بحبه .

دوجبرى وفارجس

شرطيان مضحكان يشيعان فى أفق القصة مرحاً وبهجة ، كلما خيف أن تدنو من الجد ، أو تفقد خفة الروح ، وإليهما يرجع الفضل فى كشف المكيدة التى دبرت للقضاء على العذراء « هيرو » وانصراف كلوديو عن القران بها ، شفاء لوجدة « دون جون » عليه ، أن غلبه فى الحظوة عند أخيه .

ولم يكن كشفهما للمكيدة عن ذكاء ، فهما غبيان ، وإن كان غباؤهما لطيفاً يستريح الخاطر إليه ، وإنما وقعا على الحقيقة بمحض المصادفة ، وهما يشرفان على العسس فى الطريق العام الذى يقع فيه بيت ليوناتو الحاكم .

والواقع أن التحقيق الذى تولياه مع الرجلين اللذين قبضا عليهما — وهما بوراشيو وكونراد صنيعتا « الشرير » « دون جون » — لم يكشف شيئاً يعين على جلاء المكيدة ، ولولا اعتراف بوراشيو لكلودبو الأمير فى الفصل الخامس لما استطاع هذان الشرطيان إزاحة الستار وحدهما عن جلية الأمر وخافيته .

ولعل أبدع ناحية فى هاتين الشخصيتين المضحكتين ولوعهما بإظهار الجد ، وتحريف الكلام ، والترائى بالعلم ، وهما منه خلاء ، فإن لأولهما

« دوجبری » طريقة ممتعة فی التظاهر بالعلم ، وهو الجاهل ، وحسبان الخطأ هو الصحيح ، والإلقاء بالحكمة السائرة ، فی عبارات من لغته البعيدة من كل معروف ومألوف .

الكاهن

هو الأخ فرانسس — ولعله من لقبه راهب من جماعة الإخوة — أو الفرير لان كلمة Friar هی وكلمة « فرير » سواء . ولكنا آثرنا أن ندعوه « الكاهن » لأنه هو الذی جیء به ليعقد القران فجرت مأساة التشهير بالعروس وهی أمام الهيكل علی عينيه .

ولهذا الكاهن دور كبير الشأن فی القصة ، فهو رجل أوتی علماً بخوالج النفوس ، ودراسة الشخصيات ، فلم يلبث عقب الفضيحة التی حدثت فی محضره وأدت إلی إغماء العروس ، أن ذهب خاطره إلی أنها بريئة مما اتُّهمت به ، فوضع خطة لتبديد الريبة ، وكشف الحقيقة لعلها رادة كلوديو إلی حبه . وقد نجحت تلك الخطة من بوادرها ، لولا موقف التوعد والتحدی الذی اتخذه ليوناتو وأخوه أنطونيو عند لقائهما كلوديو والأمير عقب الحادثة التی وقعت فی الكنيسة ، ولكن هذا الموقف لم يأت بالنتيجة التی كان الكاهن يرجوها ، وهی شعور كلوديو بالندامة ، بل تجاوز ذلك إلی أمر زاد فی نجاح الخطة ، وهو استجابته لما أريد منه بغير تردد أو اعتراض . . .

معالم بارزة

فى فصول القصة ومشاهدها

تنتظم روايات شكسبير مجموعتان ، الأولى ظهرت كلها قبل عام ١٥٩٥ وهى « جهد حب ضائع » و «مهزلة أغلاط» و «حلم ليلة صيف» و « سيدان من فيرونا » و «روميو وجولييت» و «ريتشارد الثانى والثالث» و « هنرى السادس » فى أجزائها الثلاثة ، وتشمل الأخرى — وهى الفترة الثانية بعد ذلك التاريخ — « الملك جون » و « تاجر البندقية» و « ترويض الشريرة » و « هنرى الرابع » بجزأيها . و « زوجات وندسور المرحات » ؛ و « هنرى الخامس » و « كما تشاءون » و « الليلة الثانية عشرة » . وهذه القصة التى ننقلها إلى العربية.وهى إحدى ثلاث مسرحيات كتبها المؤلف فى أرغد أيامه ، وأبهج أدوار حياته ،وأملأ مراحلها فكاهة ومرحاً،قبل أن ينتقل إلى النواحى الجادة من حياة الناس. ويرسم مآسى عيشهم ، ويصور أفاعيل غرائزهم ، بعد أن فرغ من رسم صنوف نزقهم ، وألوان حماقتهم ، وضروب لهوهم فى الحياة.. فقد وضع فى هذا الدور مآسيه الخالدات ، يوليوس قيصر ، وهملت ، وعطيل ، والملك لير .

وقد امتازت المسرحيات الثلاث التى أسلفنا ذكرها بسمو الخيال ، ولطف الخاطر ، واكتمال الفن ، وطرافة النكتة ، وخفة الظل ، وبعد مطارح المجون .

وسيرى القارئ مبلغ ما ازدحمت به هذه القصة من لمع الفكاهة ، وأبدع ألوان المجانة ، على قلة عناصر الموضوع فيها وندرة الحوادث خلالها ، حتى لتكاد تكون « حواراً » جميلا ، ومساجلات فكهة ، وإن لم تخل جملة من مواقف رائعة ، لعل أبدعها وأروعها المشهد الذى بدأ فى الكنيسة ، حين انبرى العروس يشهر على رؤوس الأشهاد بعروسه ، ويرميها بالخيانة والعار ، وما أعقب هذا التشهير من إغمائها أمام الهيكل ، قبيل حفل الزفاف .

فقد يكون مشهد كهذا فى رواية مرحة أكثر مما تحتمله الأعصاب ، أو يتسق والموضوع الذى تدور القصة حوله ، ولكن ما يخفف من أثرها أن النظارة الذين يشاهدونها ، والقراء الذين يطالعونها ، يعرفون أن التهمة التى رُميت العروس بها وليدة مكيدة مدبَّرة ، ويعلمون أنها بريئة منها كل البراءة ، وإن جهل الأمر أبطالها الآخرون ، ووقعت التهمة من نفوسهم أسوأ موقع . وفى ذلك يقول « شليجل » : إن هذا المشهد هو قطعة رائعة بكل معانى الروعة ، وإن تأثيرها المسرحى لا يكاد يدانيه شىء ، وكان وقعها سيروح محزناً فاجعاً ، لولا حرص شكسبير على التخفيف من حدته ، توطئة لظهور حادث سعيد ، والمضى بالقصة إلى نهاية موفقة . . .

وناهيك بما فى الحوار المستمر بين « بياتريس » وبنيديك والتراشق بالنكت المليحة من ثروة مجانة وارتفاع بالغ فى آفاق السخرية واللعب بالألفاظ ، والافتنان فى مختلف ألوان البديع والبيان .

ولا نحسب ما حفلت به مسرحية « كما تشاؤون » من حوار بين « أورلندو » و « روزالند » يضارع مثيله فى هذه القصة أو يقع قريباً منه ، إلا أن التراشق بالنكات بين بياتريس وبنيديك هنا ، يبدو لاذعاً موجعاً، مليئاً بسخرية . بينما يغلب على مثله فى المسرحيات الأخرى طابع المجانة البحت والعبث الخفيف .

فقد صور الشاعر بياتريس وبنيديك خلال قصتنا هذه فى صور المتمردَين على الحب ، المتأبيين على فكرة الزواج ، الساخرين من الرجال والنساء بالسواء ، ومضى يرسم لنا فى حذق بالغ كيف دبر أصحابهما لهما مكيدة لطيفة لحمل كل منهما على الإيمان بأن الآخر يكن الحب له ويخفى الميل إليه ، فى أعماق صدره ، وأغوار جوانحه .

وقد رأينا أصحابهما ينسبون لأنفسهم فضل هذا التحبيب بينهما ، إلى لطف وسيلتهم وبراعة مكيدتهم ، ولكن حرص كل منهما على هذا العبث اللاذع بالآخر كان فى ذاته دليلاً على نمو الميل إليه ، واستمكان الحب منه ؛ وحين اعترفا به ، لم يفارقا المجون لحظة ، ولم ينصرفا من السخرية والتهكم . ولم يسكتنا إلى الجد غير مرة ، عندما وقفا وقفة الدفاع عن البريئة المتهمة .

وليس من شك فى أن شكسبير لم يخطئ المرمى ، لأن المولعين بالنكتة ينتهون فى أغلب الأحيان عند نقطة لا يرتضون اجتيازها ، ما لم يشاءوا أن يؤخذوا مأخذ المهاذير المغفلين .

وسيرى القارئ كيف مضى شكسبير فى تصوير بياتريس يحدثنا عن مدى اجتماع قوى العقل والحيوية وتفاعلهما فى مثل تفاعل النار والماء ، على حين جعل بنيديك الذى يكره النساء ويجاهر ببغضهن ، يتحول ببراعة ظاهرة إلى فكرة الزواج ، على أثر سماعه بنبأ حب بياتريس له .

وجاءت شخصية «هيرو» العروس التى اتهمت ظلماً متقنة التصوير ، متناقضة أبدع التناقض وشخصية الماجنة اللاذعة بياتريس . وبدت علاقة الفتاتين طبيعية تملك الإعجاب . فقد صوّر المؤلف « هيرو » قليلة الكلام عن نفسها ، مستعينة عنه ببلاغتها فى ذاتها ، وجعل الأخرى تسمو عليها بروحها الجياشة وعقلها الجبار ، وإن كانت « هيرو » ، إلى جانب جمالها ورقتها ، قد أوتيت بوصفها بطلة القصة جمالاً روحياً منقطع النظير .

وسيتبين القارئ أيضاً أن الشاعر جعل ، كلما مالت به القصة إلى ناحية الجد المفرط ، يعود فيخفف من حدتها بمشاهد فكهة ، ومحاورات طلية ، وبخاصة المشهد الذى يتجلى فيه الشرطى المتعالم وأصحابه الذين استعان شكسبير بهم ، إلى جانب عنصر الفكاهة فى أشخاصهم وتصرفاتهم ، على كشف المكيدة التى دبرها الحقود « دون جون » وخادمه « بوراشيو » بأسلوب مفعم مجانة وطريقة لطيفة المدخل على النفوس .

آشخاص القصة

دون بدرو : أمير أراجون	دوجبرى : شرطى
دون جون : أخ له غير شرعى	فارجس : زميل له
كلوديو : فتى نابه من نبلاء فرنسا	خادم كنيسة :
بنيديك : فتى نابه من نبلاء بادوا	غلام :
ليوناتو : حاكم مسينا	
أنطونيو : أخوه	هيرو : ابنة ليوناتو
بالتازار : أحد موالى دون بدرو	بياتريس : ابنة أخيه
كونراد، بوراشيو } من أتباع دون جون	مرجريت، أرسولا } وصيفتان لهيرو
فرانسس : الراهب	رسل وحراس وأتباع

وقائع القصة : فى مسينا

الفصل الأول

المنظر الأول

أمام بيت ليوناتو
يدخل ليوناتو وهيرو وبياتريس مع رسول

ليوناتو : لقد علمت من هذا الكتاب أن « دون بدرو »
أمير أرجون قادم الليلة إلى مسينا

الرسول : إنه الساعة جد قريب ؛ فقد كان
على ثلاثة فراسخ منها حين تركته

ليوناتو : كم من السادات فقدتم
في هذا القتال ؟

الرسول : قليلاً من مختلف الرتب ، ولم نفقد من العلية أحداً

ليوناتو : إن النصر ليعد مزدوجاً
حين يعود المنتصر إلى وطنه
كامل العدد ، تام الصفوف
وقد علمت من هذا الكتاب أن دون بدرو قد أضفى شرفاً
عظيماً على فتى فلورنسي يدعى كلوديو

الرسول : لقد استحقه من جانبه عن جدارة بالغة ،

وعن نصفة من جانب دون بدرو ، بالسواء ،
فقد تجاوز فى مسلكه ، ما كان مرتقباً ممن فى مثل سنه ،
وفعل وهو الحمل ما يفعله الأسد :
وفاق فى الواقع ما كان منتظراً أكثر :
مما تنتظر منى أن أصفه لك .

ليوناتو : إن له عمًّا هنا فى مسينا
سيُسر بهذا سروراً عظيماً

الرسول : لقد حملت إليه الساعة كتباً
فغلبه فرح شديد ، إلى حد جاوز الاعتدال ،
فلم يستطع فرحه أن يبدو خالياً
من مظهر أسى ، ودلائل حزن

ليوناتو : هل أجهش بالبكاء ؟

الرسول : فى فيض زاخر

ليوناتو : إنه لفيض طبيعىّ من غريزة الحب ،
فليس فى الوجوه وجه أصدق مما تغسله الدموع ،
إن البكاء للفرح لأفضل كثيراً من الفرح للبكاء

بياتريس : نبئنى من فضلك هل عاد السنيور مونتانتو ؟[1]

(١) مونتانتو — لفظة معناها طعنة إلى أعلى بالسيف فى ألعاب الشيش ، ومن هنا جاءت تسمية بياتريس لبنيديك بالسنيور مونتانتو سخرية وتهكماً ، كإشارة إلى أنه لاعب أو كثير الزهو والادعاء .

من الحرب أو لم يعد ؟

الرسول : لا أعرف أحداً بهذا الاسم يا سيدتى ،
وليس فى الجيش امرؤ ذو شأن يحمل هذا اللقب

ايوناتو : من هذا الذى تسألين عنه يابنة الأخ ؟

هيرو : إن ابنة العم تقصد السنيور بنيديك
من أهل بادوا

الرسول : آه . . لقد عاد ، مرحاً كديدنه

بياتريس : لقد أعلن هنا فى مسينا
تحديه « لكيوبيد »[1] فى الرماية بحداد النبال ،
التى تصمى من المسافات الطوال
ولكن مهذار عمى حين قرأه، قبل
عن كيوبيد تحدّيه ، فى الرماية بالسهام القصار ،التى
تُرمى بها الأطيار [1]

---

(١) إله الحب عند الإغريق . وهو يصور فى شكل صبى أعمى يحمل قوساً وسهماً ، يصيب بها حبات القلوب .

(٢) والمراد هنا أنبنيديك أعلن أنهيتحدى إله الحب أن يظفر له بامرأة أوتيت من الجمال حظاً تستطيع به أن تملك هواه . وهذا هو سر سخرية بياتريس منه وتهكمها به . والسهام الحداد معروفة بطولها وخفة سرعتها وكثرة ريشها ، وهى السهام المريشة ، أما السهام القصيرة فلا تخدش من الطير غير جلودها ، وكان الإغريق يسمحون للمضحكين والمهرجين والحمق باستخدامها .

نبئنى كم تراه قتل وأكل فى هذا القتال ،
بل نبئنى كم تراه قتل ،
لأنى فى الواقع وعدته أن آكل جميع قتلاه[١]

ليوناتو : يميناً يابنة الأخ
إنك لمفرطة فى التهكم بالسنيور بنيديك ،
ولكنى لا أشك فى أنه سيصفى معك حسابه

الرسول : لقد أبلى فى هذه الحروب يا سيدتى
بلاء حسناً

بياتريس : لقد كان عندكم طعام زنخ فساعدكم
على أكله لأنه النهم الجرىء على الخوان
وقد أوتى معدة جيدة .

الرسول : وهو جندى شجاع أيضاً يا سيدتى[٢]

بياتريس : جندى شجاع لسيده
ولكن من هو أمام سيد ؟

الرسول : إنه لسيد أمام سيد ، ورجل قبالة رجل ،
حشوه جملة المكارم والمناقب .

---

(١) أى إنما تعرف أنه لن يستطيع قتل أحد فتعهدت له أن تأكل من يقتله واثقة أنه لن يقتل.

(٢) هنا جناس فى اختلاف التهجى ، فإن too معناها أيضاً أو كذلك . وقد حذفت ياء المنادى فى الأصل وجاء رد بياتريس «جندى "لسيدة» فاستخدم شكسبير to جناساً مع أيضاً too

بياتريس : حقـًّا إنه لكذلك ، فما هو إلا رجل محشوّ
أما عن الحشو ذاته ، فكلنا بشر

ليوناتو : لا تخطئْ يا سيدى فى فهم ابنة أخى
إن بينها وبين السنيور بينديك حرباً فكهة ،
فلا يلتقيان مرة
إلا ونشبت بينهما مناوشة مزاح .

بياتريس : ولكنه للأسف لا يكسب منها شيئاً ،
وفى آخر معركة بيننا
راحت أربعة من أحاسيسه الخمسة[1]
تمشى عرجاء ظالعة
فلم يبق له منها اليوم إلا واحدة
فإن كانت له مسكة من ذكاء
تكفى لتدبير أمره ورعاية شأنه ،
فليحرص عليها
حتى تكون فارقاً بينه وبين حصانه ،
لأنها كل ما يملكه
ليبدو مخلوقاً عاقلا

(١) المراد بالأحاسيس الخمسة الفطنة والمخيلة والتصور والتقدير والذاكرة ، وهى مطابقة للحواس الخمس ، البصر والسمع والشم والذوق واللمس .

مَنْ اليوم رفيقه
لأن له فى كل شهر صديقاً وفيًّا

الرسول : أجائز هذا ؟

بياتريس : إنه جد جائز ممكن
إنه يبدل عهوده كما يغير قبعته ،
فهو يغيرها كلما استُحدِث قالب أو تغير زىّ

الرسول : يلوح يا سيدتى أن السيد ليس فى حظوتك ،
ولا هو فى كتبك ودفاترك[1]

بياتريس : بلى ، ولو أنه كان كذلك لأحرقت مكتبتى ،
ولكننى أسألك من رفيقه ؟
أليس ثمة فتى شكس
يذهب معه فى سفرة إلى الشيطان ؟

الرسول : إنه أكثر ما يبدو فى رفقة النبيل كلوديو .

بياتريس : يا لله ! إنه سيلازمه ملازمة الداء ؛
بل هو أسرع إليه من الوباء
فلا يلبث المصاب أن يجن .
كان الله فى عون كلوديو النبيل

(١) أى لست عنه راضية . وقد جاء الشاعر بهذه العبارة ليأتى الرد مناسباً لها فى قولها « لأحرقت مكتبتى » ، كما سيلى .

إذا كان قد أصيب ببينديك[١]
لسوف تكبده تلك العلة ألفاً من الجنيهات
قبل أن يقدر له الشفاء .

الرسول : سأحرص على مودتك يا سيدتى[٢]

بياتريس : افعل أيها الصديق الكريم

ليوناتو : لن تُصابى يابنة الأخ بجنون يوماً

بياتريس : أبداً ، أو يأتى شهر يناير حرًّا وصهداً[٣]

الرسول : ها هوذا دون بدرو مقبل .

(يدخل دون بدرو ودون جون وكلوديو وبنيديك وبلتازار)

دون بدرو : يا سنيور ليوناتو الكريم
لقد جئت لتلاقى عناء
إن ديدن العالم تجنب المتاعب
وديدنك أنت مواجهتها .

ليوناتو : ما طرق العناء يوماً بيتى ، فى صورة سماحتك ،
وما دام العناء قد ارتحل

---

(١) بنيديك : هو اسم الرجل الذى تتحدث عنه ، ولكن بياتريس تلمح أيضاً إلى مرض يدعى بهذا الاسم ، ويصيب المريض بالجنون ، كما يفهم من قول عمها الذى سيلى هذا الكلام .

(٢) أى حتى لا أستهدف لهجوك .

(٣) وهو مستحيل .

فقد آن للراحة أن تحل ،
ولكن حين تفارقنى ،
يقيم الحزن عندى ويلازمنى ، ويولى عنى السرور .

دون بدرو : إنك تتقبل المغارم مفرطاً فى الرضى بها ،
أظن هذه ابنتك

ليوناتو : هكذا قالت لى أمها مراراً .

بنيديك : هل كنت فى شك يا سيدى حتى تسألها ؟

ليوناتو : لا ، يا سنيور بنيديك ،
لأنك كنت يومئذ طفلا .

دون بدرو : هذه لطمة « قوية » يا سنيور بنيديك ،
ومنها نستطيع أن نحزر من تكون ،
وأى رجل أنت ،
حقاً إن السيدة قد دللت على بنوتها لأبيها ،
اسعدى يا سيدتى لأنك شبيهة بأب كريم

بنيديك : لو كان السنيور ليوناتو أباها
لما رضيت برأسه على كتفيها[١]
ولو أعطيت مسينا بأسرها
ما دامت كما هى شبيهة به

---

(١) أى لما قبلت رأسه الأشيب .

بياتريس : عجبي لك يا سنيور بنيديك
إنك لا تنقطع عن الكلام ،
ولا أحد يلتفت إليك .

بنيديك : وى . . . ألا تزالين أيتها « السخرية » العزيزة حية ؟

بياتريس : وهل يمكن أن تموت السخرية ،
ولديها مثل السنيور بنيديك طعاماً شهياً . . ؟
إن المجاملة ذاتها
لتنقلب حتماً إلى سخرية ،
لو مثلت حضرتها .

بنيديك : المجاملة إذن متقلبة غادرة ،
ولكن الذى لا ريب فيه
أننى محبوب من النساء جميعاً ما عداك ؛
وودت لو أجد فى نفسى
أنى لست قاسى القلب ؛
لأننى فى الحق ،
لا أحب منهن واحدة .

بياتريس : ذلك من حسن حظ النساء ،
وإلا لأصبن بخطيب خبيث ،
وإنى لأحمد الله ،

ودمى البارد ، على أن مزاجى شبيه بمزاجك
فى هذه الناحية حتى لأوثر أن أسمع كلبى ينبح غراباً ،
على أن أسمع رجلاً يقسم أنه يحبنى .

بنيديك : أرجو الله أن يبقيك دائماً على هذا الرأى ،
حتى ينجو الرجال من خدش الوجوه المقدر لهم ،
إذا هم أصيبوا بك

بياتريس : لن يستطيع الخدش أن يجعل وجوههم
أسوأ صوراً ، إن كانت مثل وجهك .

بنيديك : حقًّا إنك لمعلمة ببغاوات نادرة .

بياتريس : لطائر لسانى خير من وحش مقولك .

بنيديك : وددت لو أن لحصانى سرعة لسانك .
وجلده على الاستمرار ،
ولكن بالله عليك امكثى حيث أنت ،
فقد انتهيت أنا واكتفيت

بياتريس : إنك لتنتهى أبداً بمكر الحصان المكدود ،
حين يخرج رقبته من الطوق[1]

(١) من عادة الحصان المنهوك المتعب الذى لا قيمة له أن يحرن ويحاول بمكره أن يقف من السير فيخرج رأسه من « رقبته » والمعنى أنه فى جدله معها ينتهى متعللا بأنه قد أدى ما عليه ووفى ما عنده .

إننى أعرفك من زمن بعيد

دون بدرو : إليك يا ليوناتو جملة الخبر .
إن صديقى العزيز ليوناتو ،
دعا كما يا سنيور كلوديو ويا سنيور بنيديك إلى ضيافته ،
وإنى لقائل إننا سنقيم هنا شهراً على الأقل(١)
وهو يرجو من صميم قلبه أن تعرض مناسبة
فتجعل مقامنا عنده أطول أمداً ،
وفى وسعى أن أقسم أنه ليس بمنافق ،
ولكنه يرجو هذا من كل قلبه صادقاً .

ليوناتو : إذا أقسمت يا مولاى
فلن تكون فى قسمك حانثاً .
(إلى دون جون) أهلا بك يا مولاى وسهلا ،
إنى لمؤد لك كل الواجب
ما دمت أنت والأمير أخوك فى صفاء .

دون جون : أشكرك . وما أنا بأخى بيان(٢)
ولكنى شاكر لك

---

(١) على سبيل الإنذار والفكاهة ، وكثيراً ما يقول الضيف شيئاً كهذا لمضيفه مزاحاً .

(٢) يبدو من اقتضابه أنه رجل جهم حاد الطبع ، قلما يتأدب فى حديثه ، وهو يعتذر بأنه ليس من أصحاب الكلام ولا من الفصحاء أهل البلاغة .

ليوناتو : تفضل يا مولاى فتقدم بنا
دون بدرو : هات يدك يا ليوناتو ولنسر معاً

(يخرج الجمع إلا بنيديك وكلوديو)

كلوديو : هل لاحظت يا بنيديك
ابنة السنيور ليوناتو ؟
بنيديك : لم ألاحظها ،
ولكنى شاهدتها(١)
كلوديو : أليست ذات خفر وشباب ؟
بنيديك : هل تسألنى سؤال رجل صادق
يطلب رأيى الصريح وحكمى الحق ،
أو تريد منى أن أتكلم على عادتى
كلام جبار مشهود له(٢)
بالقسوة على النساء كلهن ؟
كلوديو : كلا ، أناشدك أن تتكلم بهدوء ،
وتتروى فى الحكم
بنيديك : يلوح لى حقًّا أنها « أقصر » قامة

---

(١) أى أنه شاهدها ولم يتأملها والفرق ظاهر بين الملاحظة وبين المشاهدة .
(٢) فى الأصل طاغية معترف به أو كما نقول فى أيامنا هذه « محترف » جعل كراهية النساء ديدنه .

مما يستحق مديحاً « طويلا » ،
وأسمر لوناً مما يستأهل إطراء زاهياً
وأضأل بدناً مما يستوجب ثناء عظيما[١]
وليس لها عندى ما يزكيها إلا شيء واحد ،
وهو أنها لو لم تكن كما هى ،
لكانت غير مليحة ،
أما وهى هى ،
فلست أستحسنها

كلوديو : هل تظننى هازلاً ؟
إننى لأرجو إليك
أن تنبئنى حقًّا ما شعورك نحوها .

بنيديك : هل تريد أن تشتريها
ومن أجل ذلك تسأل عنها ؟

كلوديو : هل فى وسع الدنيا أن تشترى جوهرة كهذه ؟

بنيديك : نعم ، وحقًّا لتوضع فيه ،
ولكن أتتحدث عن جد

---

(١) هكذا فى الأصل ، وقد راعى الناقل الطباق أو التقابل بين قصر القامة وطول المديح وبين سمرة البشرة ، وزاهى الثناء ، وبين ضآلة البدن ، وعظم الإطراء ، ويبدو شكسبير فى هذه الرواية كثير اللعب بالألفاظ ، مسرفاً فى المحسنات وألوان البديع والبيان .

أم تريد العبث بي ؟
لتقول لنا إن كيوبيد بصير ككلب الصيد ،
وإن فولكان نجار نادر[١] ؟
ألا قل لي أي نغمة أتخذ
لكي أوائم أنشودتك ،
أنغمة فرحة أم محزنة تريد[٢] ؟

كلوديو : إنها في عيني أملح امرأة
وقع عليها ناظري .

بنيديك : لا أزال قديراً على النظر بغير منظارين ؛
ولكني لا أرى شيئاً من هذا القبيل .
انظر إلى ابنة عمها
إنها لتفوقها كثيراً في الجمال ،
كما يفوق أول مايو آخر ديسمبر ،
لولا سرعة الغضب التي تتملكها

---

(١) المعروف أن كيوبيد إله الحب أعمى ، فمن العبث أن يقال إنه حديد البصر ككلب الصيد وأن فولكان إله النار والمعادن فمن المزح أن يقال عنه إنه نجار يحترف صناعة الخشب .

(٢) استعارة من الموسيقى . يريد بها المؤلف أن يقول ماذا تريد مني أن أبدو هل أجد أو أهزل لكي أوافقك على رأيك .

ولكنى أرجو ألا تكون منتوياً أن تنقلب زوجاً .
أتراك انتويت ؟

كلوديو : لا أحسبنى أستطيع السيطرة على نفسى
إذا رضيت هيرو أن تكون زوجتى ،
وإن كنت قد حلفت لا أكون زوجاً .

بنيديك : هل وصل الأمر إلى هذا الحد ؟
يميناً أليس فى الدنيا رجل واحد ،
لا يلبس قبعته موسوساً متشككاً [١] ؟
ألن يقدر لى مرة أخرى
أن أرى رجلاً أعزب فى الستين من العمر . .
ماذا أصابك ،
يميناً لو استوجب الأمر
إدخال عنقك فى النير
فالبس شعاره أيام الأحد ،
واقضها فى شكاة وأنين ،
فعل المصلين العابدين المستغفرين [٢] .

---

(١) استعارة يراد بها ، هل خلت الدنيا من رجال لا يستريبون بنسائهم فهم يضعون القبعات فوق رؤوسهم لإخفاء « قرونهم » .

(٢) إشارة إلى ما كان يفعله المتشددون فى الدين ، وهم طائفة « البيوريتان » الملتزمون فى العبادات على عهد الملكة إليزابث يوم الأحد إذ يلبسون ثياباً بسيطة ويقضون وقت الصلاة فى عبادة وبكاء وأنين .

انظر ها هو ذا دون بدرو
عائد لافتقادك (يدخل دون بدرو)

دون بدرو : أى سر احتجزك فى هذا المكان
فلم توافنا إلى دار ليوناتو ؟

بنيديك : أرجو من سماحتك أن تعفينى من الكلام .

دون بدرو : إننى ألزمكه بحق ما لى عليك من ولاء.

بنيديك : هل سمعت يا كونت كلوديو ،
أن فى وسعى أن أصمت صمتة الأبكم ،
وأحب أن تفهم هذا عنى .
أما وهو كما ترى
ملزمنى الكلام بحق ما له من ولاء —
إنه يناشدنى القول بحق الولاء ،
فلا معدى لى من القول « إنه يحب »
أمَّا مَنْ ، فذلك هو دور سماحتك فى استطلاع جليته ..
وانظر بعد إلى « قِصر » الرد الذى هو راده ،
إنه يحب . . .
« هيرو » القصيرة ابنة ليوناتو

كلوديو : إذا كان الأمر كذلك فقد باح به

بنيديك : كالقصة القديمة يا مولاى ،

« ليس الأمر كذلك ،
ولم يكن كذلك
ومعاذ الله أن يكون كذلك »[١]

دون بدرو : يمين الحق لقد قلت ما أعتقد .

كلوديو : ويميناً يا مولاى ،
لقد أفصحت أنا عن خاطرى

بنيديك : وبالحقَّين واليمينين يا مولاى معاً ،
لقد جهرت بما أعتقد

كلوديو : أما أنى أحبها ،
فذلك هو شعورى .

---

(١) القصة القديمة – هذه إشارة إلى قصة قديمة عن سيدة تدعى « الليدى مارى » ذهبت يوماً لزيارة رجل من معارفها يدعى « المستر فوكس » وكان غائباً فاكتشفت فى بيته حجرة اعتاد أن يخفى فيها جثث النساء اللاتى قتلهن ، ولم تكد تخرج منها حتى لمحته والسيف فى يمينه وهو يجر سيدة إلى البيت . فبادرت إلى الاختباء حتى لا يراها ، وحين وصل إلى البيت مضى يجرر فريسته فوق مدارج السلم فتمسكت بالسياج فلم يكن منه إلا أن بتر يدها من المعصم بسيفه واستطاع أن يقتادها إلى الحجرة الرهيبة . وأما السيدة مارى فتمكنت من الهرب وأخذت الكف المقطوعة معها دليلا على الجريمة . وفى ذات يوم كان المستر فوكس يتناول العشاء فى دارها فانتهزت هذه الفرصة لامتحانه . ومضت تروى له كيف زارته فى بيته كأنها رؤية فى المنام أو حلم من الأحلام وجعلت تقول خلال الرواية أليس كذلك أو لم يكن الأمر كذلك ، إلى أن وصلت إلى حكاية الحجرة الرهيبة ، فلم يلبث المستر فوكس أن راح يردد ليس الأمر كذلك ولم يكن الأمر كذلك ومعاذ الله أن يكون كذلك .

دون بدرو : وأما أنها جديرة بالحب ،
فذلك هو علمي .

بنيديك : وأما أني لا أدري كيف تُحَبّ مثلها ،
ولا أعلم كيف تكون بالحب جديرة ؟
فذلك هو الرأي الذي لن تستطيع النار أن تذيبه من أعماق
نفسي ،
ولن أتحول عنه ولو مت فوق الخابور .

دون بدرو : لقد كنت أبداً العنيد
في الكفر بالجمال والازدراء به

كلوديو : ولم يكن يوماً بقادر على الاحتفاظ بكفره وعناده
إلا بقوة إرادته

بنيديك : أما أن امرأة حملت بي ؛
فأنا لها شاكر ،
وأنها ربتني صغيراً ونشّأتني صبيّاً ،
فلها مني أصدق الشكر وأعظم الخضوع .
أما أن تطلق الأبواق عند جبهتي ،
لتردني عن عقيدتي ، رد كلاب الصيد الطريدة ،
أو أن تعلق خية في منطقتي ؛
فأستميح النساء جميعاً معذرتي ؛

وإذ كنت أظلمهن بالشك فيهن ،
فسوف أنصف نفسى فلا أسكن إليهن
و « جملة » القول الذى هو بى « أجمل »
أننى سأعيش أعزب[١]

دون بدرو : أرجو الله أن أراك قبل مماتى
شاحباً مصفراً من فرط الحب

بنيديك : قل من فرط الغضب ، أو من حدة الوصب ،
أو شدة السغب ، يا مولاى ،
ولا تقل من فرط الحب ،
أثبت أننى سأفقد يوماً من الدم ،
بالحب والغرام والعذاب ،
أكثر مما أستعيده بالشراب ،
أسمل عينىّ بريشة شاعر أغن ،
وعلقنى على باب ماخور
رمزاً لكيوبيد الضرير .

دون بدرو : ويوم تتحول عن هذا الرأى ،

---

(١) حتى أمه التى حملته ووضعته ليس لها عنده إلا كلمة شكر ، واستعارة الأبواق هنا مأخوذ من الصيد حين ينفخ فيها تنبيهاً إلى الصيادين وكلابهم بوجوب العودة وتعليقها خفية فى منطقته مجاز آخر فى المعنى ذاته .

تروح أنت الحجة الرائعة
على نفسك

بنيديك : فإن فعلت فعلقونى فى سلة
كالقط وارمونى بسهامكم ،
واربتوا على كتف من يصيبنى
وادعوه آدم الرامية[١]

دون بدرو : ليكن الحكم للزمن ،
« فمع الزمن يرضى الثور النافر بالنير حول عنقه » .

بنيديك : قد يرضى به الثور المتوحش ،
ولكن إذا رضى به بنيديك العاقل ،
فانزعوا قرنَى الثور وأثبتوهما فى جبهتى ،
وصوّرونى أنكر ما تصورونى ،
واكتبوا بأحرف غلاظ كالقرون
« هذا حصان يُستأجر »
وليعلنوا تحت رسمى

---

(١) كانت العادة أن توضع القطط فى زجاجات خشبية مدلاة من حبل ومع القطط كية من السناج فن قدر على إصابة الزجاجة من قاعها وهو يجرى من تحتها ولا يصيبه الهباب . كان هو الفائز وأما « آدم » هنا فأحد ثلاثة اشتهروا بحسن الرماية فى تلك الأيام وأولهم آدم بل ، وقد دون الاسقف برسى أعمالهم الرائعة فى كتاب « المخلفات » .

« انظروا ها هو ذا بنيديك البعل »[١]

كلوديو : لو وقع ذلك يوماً
لكنت مجنوناً « صارخاً من قرونه »

دون بدرو : أجل ، إذا لم يكن كيوبيد قد بعث
إلى البندقية بكل ما فى جعبته من السهام المريشة[٢]
فستصبح وشيكا « ساهماً » ، « راعشاً » ،
كريشة فى مهب الريح[٣]

بنيديك : بل لتزلزل الأرض يومئذ زلزالها

دون بدرو : سيأتى ذلك اليوم المشئوم فلا تستعجله .
والآن ادخل يا سنيور بنيديك الكريم
إلى دار ليوناتو وأقرئه عنى السلام
ونبئه أننى لن أتأخر عن موعد العشاء ،

---

(١) نهاية فى وصف كراهيته للزواج ، انظر إلى إشارته إلى « القرون » وحصان الأجرة كما جاء رد كلوديو « صارخاً من قرونه » مناسباً للموضوع .

(٢) إشارة إلى السهام التى يحملها إله الحب فى كنانته . وقوله « فينيسيا » يرجع إلى شهرة البندقية بكثرة العشاق . والمعنى أن كيوبيد سيستنفد كل ما لديه من السهام إذا هو زار تلك المدينة ، أما إذا بقى لديه منها شىء فلن يلبث بنيديك أن يصبح من سهام الحب جريحاً .

(٣) استعرنا هذا الوصف « ساهماً » « راعشاً » « كريشة » . . . إلخ للتقريب بين الجناس الذى لجأ شكسبير إليه ، فإن كلمة الجعبة فى الإنجليزية هى quiver وهى أيضاً فعل معناها « يوعش » وقد أشبعنا الاستعارة للمقابلة بين قولنا « السهام المريشة » وبين وقولنا « ساهما راعشا كريشة ».

لأنه فى الحق قد استعد
استعداداً عظيما .

بنيديك : أكاد أجد فى نفسى من الذكاء
ما يكفى لتأدية هذه السفارة ،
ولهذا أترككما ﻟ . . .

كلوديو : لرعاية الله — من
منزلى (لو كان لى منزل)[١]

دون بدرو : السادس من شهر يوليو . . . صديقك
المحب بنيديك[٢]

بنيديك : لا تسخر . . . لا تسخر ،
إن صلب مناقشاتك ليبدو أحياناً
كالثوب الكثير الحليات والحواشى ؛
ولكنها حواش ملفقة على الثوب ،
أو لاصقة قليلا به[٣] ،

---

(١) عبارة كانت العادة فى ذلك العهد أن تكتب فى نهاية الخطاب كقولنا اليوم « وتفضلوا إلخ » وأضاف من « منزلى » كقولنا « تحريراً فى » ، وزاد بين قوسين « لو كان لى منزل لأنه بعيد عن بلده » .

(٢) وأردف دون بدرو مكملا « السادس من شهر يوليو » — أى التاريخ — المحب « بنيديك » إشارة إلى التاريخ والإمضاء والنكتة فى تعيين السادس من يوليو ؛ لأنه « الربيع » وفيه يكثر « الحب » .

(٣) يريد أن مناقشاتك متصلة بعض الشىء بالمقتضيات القليلة الصلة بموضوع المناقشة.

وقبل أن تمعنا فى السخرية من كلامى
عودا إلى ضميريكما : . وبهذا أترككما . (يخرج)

كلوديو : مولاى ، إنك لتستطيع اليوم
أن تنفعنى .

دون بدرو : إن حبى -لك يطلب علماً
بما تريد ،
فما عليك إلا أن تعلمه كيف يخدمك ،
تجده مستعداً لكل درس صعب فيه لك خير (١)

كلوديو : هل لليوناتو ولد يا مولاى ؟

دون بدرو : ليس له إلا ابنته « هيرو » ،
وهى وريثته الوحيدة ،
فهل تحبها يا كلوديو ؟

كلوديو : آه يا مولاى ،
حين ذهبت إلى هذه الحرب التى وضعت أوزارها منذ قليل ،
كنت أنظر إليها بعين جندى ينازعه الميل .
ولكن أمامه مهمة أشق من الدفع بعاطفة « الميل »
إلى اسم « الحب » ، أما الآن فقد عدت ،

---

(١) استعارة من التعليم والتلقين ، ومعناها « أفهمنى ماذا تريد أن أفعل فى سبيل خدمتك وأنا لا أتردد » .

وخلا الذهن من أفكار الحرب ،
وحلت مكانها كثرة الأمانى العذبة الرقيقة ،
تدفعنى كلها إلى التفكير فى مدى حُسْن هيرو وفتنة جمالها ،
وقد قلت إننى كنت « أميل » إليها ،
قبل أن أذهب إلى الحرب[١] .

دون بدرو : لن تلبث أن تصبح عاشقاً مستهاماً ،
تتعب سامعيك بأحاديث الحب ، وكتب العاشقين[٢] ،
فإن كنت تحب الحسناء هيرو ،
فاحرص على حبها ، وامض فيه ،
وسأحمل النبأ إليها ، وأتحدث إلى أبيها ، وستكون لك .
أليس هذا هو الغرض
الذى مضيت من أجله تحيك نسج القصة الممتعة ؟

كلوديو : ما أبدع علاجك للحب ؟ !
إنك لتعرف أحزانه من سماته ،
وخشية أن يبدو حبى مفاجئاً أكثر مما ينبغى ،

---

(١) يريد أن يقول إنه كان مجرد « ميل » فى نفسه قبل الذهاب إلى الحرب ، ولكنه حين عاد منها وزالت أفكار القتال ومشاغله ، بدأ ينعم النظر فى جمالها ، وخاصة أنه كان « يميل » من قبل إليها .

(٢) اعتاد شكسبير أن يقرن الحب بالكتب فى أكثر من رواية .

وددت لو أنى تشفعت له[١] بأطول من هذا حديثاً .

دون بدرو : وهل يحتاج الجسر ،
أن يكون أعرض كثيراً من النهر ،
إن أجمل المنح ما يفى بالضرورة[٢] ،
وكل ما يؤدى الغرض « يجدى »
وحسبى أن أعلم أنك نضو حب
لكى « أجدى » عليك بدوائه[٣] ،
إننا سنقضى الليلة فى قصف ومرح
وسأنتحل شخصك متنكراً ،
وأدّعى للحسناء هيرو أنى كلوديو
وسأكشف لها عما فى قلبى .
وأستولى على سمعها
بقوة بيانى ، وقصة حبى .

---

(١) فى الأصل أضاته أو فسرته أو طليته بطلاء يزيده رواء .

(٢) استعارة من القناطر والقنوات . والمعنى لا يحتاج الأمر إلى بيان كثير . وقد بنى على هذا المعنى العبارة التالية التى لا تبدو واضحة ولكن المراد بها أن ليس للإنسان فى تلبية رجاء يتقدم به إلى آخر من عذر أوجه من الضرورة التى تقضى بوجوب تلبيته والمعنى لا ضرورة لزيادة الشرح لأن الموضوع ظاهر .

(٣) كل ما يؤدى الغرض « يجدى » ولكى « أجدى عليك » بدوائه — مقابلة التقريب بين الطباق فى الأصل .

ثم أحمل النبأ بعدئذ إلى أبيها .
فينتهى الأمر بظفرك بها ،
هيا بنا ننفذ هذه الفكرة فى الحال .

(يخرجان)

المنظر الثانى

فى إحدى حجرات بيت ليوناتو
يدخل ليوناتو فيلتقى بأنطونيو

ليوناتو : ماذا تم يا أخى .
وأين ابن أخى ، ولدك ؟
هل أعد الموسيقى ؟

أنطونيو : إنه منهمك بإعدادها ،
ولكنى سأقص عليك الساعة
يا بن أمى
أنباء عجيبة لم تحلم بمثلها .

ليوناتو : أهى أنباء سارة ؟

أنطونيو : كما يوحى « طابع » أحداثها[1] .

---

(١) استخدم شكسبير كلمة «طابع» هنا والمعنى أن أهمية النبأ تقاس بجوهره أو مخبره ولكن مظهره على كل حال حسن .

ولكن لها مظهراً حسناً ، وغطاء جميلا ،
فقد استرق أحد رجالي السمع على الأمير والكونت كلوديو
وهما يمشيان خلال دغلة كثيفة في بستاني ؛
فسمع الأمير يفضي إلى كلوديو
أنه يحب كريمتك ابنة أخي ،
وأن في نيته أن يعلن ذلك الليلة في المرقص ،
فإن وجدها موافقة أمسك بالفرصة من شعرها[١]
فكاشفك في الحال بالنبأ .

ليوناتو : هل أوتي الرجل الذي نبأك بهذا مسكة من الفطنة ؟

أنطونيو : إنه الذكي الفطن . سأبعث في طلبه لتسأله بنفسك .

ليوناتو : كلا . كلا — دعنا نعد ذلك حلماً حتى يتحقق .
ولكني سأقصه على ابنتي
حتى تستعد للجواب إن صح .
اذهب أنت فنبهها (يدخل الأتباع)
يا أبناء العم[٢] أحسبكم تعرفون ما عليكم .

---

(١) استعارة ، وقد اعتادها شكسبير في كثير من رواياته ، وقد رأيناه أحياناً يقول « يمسك بالفرصة من جدائلها ، أو من قرنيها » .

(٢) هكذا في الأصل . والغالب أنهم من ذوي قرباه الفقراء .

آه أتوسل إليك يا صديقى أن تذهب إليها ،
وسأبقى أنا لأستعين بخبرتك ،
وأنت يا ابن أخى الكريم ، أرجو بذل الهمة .

(يخرجون)

المنظر الثالث

فى الحجرة ذاتها

يدخل دون جون وكونراد

كونراد : يا للعجب[1] يا مولاى .
ما بالى أراك حزيناً إلى هذا الحد[2]
دون جون : لا حد للحادث الذى استوجب ذلك ،
ومن هنا كان حزنى بغير حد .
كونراد : أحرى بك أن تستمع لصوت العقل .
دون جون : وأى خير فى الاستماع له ؟
كونراد : إن لم يكن فيه علاج عاجل ،
ففيه على الأقل تصبّر إلى حين .

---

(١) هو فى الأصل قسم بالعامية .

(٢) لعب شكسبير بهذه العبارة «إلى هذا الحد» فجعل دون جون يقول لا حد للحادث الذى استوجب حزنى ، ومن هنا كان حزنى متجاوزاً كل حد .

دون جون : أعجب لك وأنت القائل عن نفسك :
إن « زحل » كوكبك[١] .
كيف تريد أن تستخدم أشفية روحية لعلاج علة مودية !
ليس فى إمكانى أن أخفى ما بى ،
إنى لأحزن حين ينهض للحزن سبب .
فلا أبتسم لمزاح أى إنسان .
وآكل إذا جعت
ولا أنتظر أحداً ، إذا وُجدت عندى شهوة إلى الطعام .
وأنام ، حين يداعب عينى النعاس ،
فلا أحفل بشئون الناس .
وأضحك حين أنشرح .
وأبتهج حين تسر النفس وتتفتح ،
ولا أجارى إنساناً فى هذه[٢] .

كونراد : نعم ، ولكن ينبغى أن لا تبدى ذلك كله ؛
حتى يتيسر لك أن تبديه دون أن يكون عليك فى ذلك حرج .

---

(١) رأينا الشاعر يتحدث كثيراً عن « الطوالع » وعلاقة الناس وأمزجتهم ومصايرهم بالكواكب . وكان الأقدمون يعتقدون أن الذين يلتقى مولدهم بزحل يبدون متجهمين مكتئبين سريعى الانفعال .

(٢) أى إنه رجل صريح فى سائر حركاته وتصرفاته .

لقد رأيناك من عهد قريب واجداً على أخيك ،
ثم ألفيناه أخيراً يدخلك فى حظوته ، ويشملك بمرضاته ،
ولست بمستطيع أن تحتفظ بمكانتك هذه ،
إلا إذا خلقت أنت الجو الطيب ،
وأولى بك أن تهيئ أنت الموسم الذى يوائم حصادك .

دون جون : إنى لأوثر أن أكون زهرة برية ، فوق سياج أو باب ،
على أن أكون وردة جميلة فى حديقته ؛
وإنه لأنسب لمزاجى أن أكون عند الناس موضع ازدراء ،
من أن أغير طبعى لأستلب من أحد حبًّا ،
أو أنال منه المودة غصباً ،
وإذا لم أوصف لهذا السبب بأنى رجل غير متملق ،
فإن أحداً لا ينكر علىّ أننى أخو شر صريح ،
لقد وثقوا بى بعد أن عقدوا لسانى ،
وأطلقونى بعد أن وضعوا النير حول رقبتى ،
ولهذا قررت أن لا أغنى وأنا حبيس فى قفصى ؛
ولو كان فمى طليقاً لعضضت ،
ولو أُعطيت حريتى لفعلت وفق مشيئتى .
أما والأمر ليس كذلك ،
فدعنى كما أنا .

ولا تلتمس لى تغييراً ولا تبديلا .

كونراد : ألا تستطيع استخدام شىء من سخطك وضغينتك ؟

دون جون : كل الاستخدام ، إذ ليس لى سواهما . . .
ترى من هذا القادم . . ؟

(يدخل بوراشيو)

دون جون : ما وراءك يا بوراشيو ؟

بوراشيو : إننى قادم من عشاء عظيم :
أقامه ليوناتو احتفالاً بالأمير أخيك ؛
وفى وسعى أن أحدثك
عن زواج معتزم .

دون جون : هل يصلح أساساً تبنى من فوقه شراً ،
ومن هو هذا الأحمق الذى يريد أن يبنى بمحنة ؟

بوراشيو : فى الحق إنه مساعد أخيك الأيمن

دون جون : من ؟ كلوديو ، أشد الناس رشاقة وأكثرهم تأنقاً ؟

بوراشيو : آى نعم هو .

دون جون : إنه امرؤ مليح ![1]
ومن . . . وإلى من تراه يتجه ؟

---

(١) وصف ساخر وتهكم .

بوراشيو : إلى هيرو ابنة ليوناتو ووريثته
ما فى ذلك شك .

دون جون : إنها لفتاة نضجت قبل الأوان ،
ومن أين عرفت هذا ؟

بوراشيو : عهدوا إلىّ بحرق البخور فى الحجرات وتعطيرها ،
وفيما كنت أعطر غرفة زهمة ،
إذ جاء الأمير وكلاوديو يسيران يداً فى يد
وهما فى حديث جدى ،
فاختبأت من فورى خلف الستار وتصنت عليهما ، فسمعتهما
يتفقان على أن يتقدم الأمير إلى هيرو فيخطبها لنفسه ،
فإذا ظفر برضاها أسلمها إلى الكونت كلوديو .

دون جون : هلموا بنا ، هلموا إلى هناك .
فقد يصلح هذا غذاء لسخطى ،
إن هذا الفتى المحدث النعمة
هو الذى ارتفع على أنقاضى ،
ولو استطعت أن أحول دون غرضه بأى سبيل ،
لعددت نفسى السعيد من كل ناحية .
كلا كما رجل موثوق به ، وسوف تساعدانى ، أليس كذلك ؟

كونراد : حتى الموت يا مولاى .

دون جون : هلموا بنا إلى مأدبة العشاء الكبرى ،
إن بهجتهم لتغدو أبلغ وأكبر إذا رأونى مستسلماً مستكيناً ،
ليت الطاهى كان من رأيى ،
أنذهب لنحاول ما نستطيع فعله ؟
بوراشيو : إننا فى خدمتك يا مولاى.

(يخرجون)

الفصل الثانى

المنظر الأول

قاعة فى دار ليوناتو

يدخل ليوناتو وأنطونيو وهيرو وبياتريس وآخرون

ليوناتو : ألم يحضر الكونت جون العشاء هنا ؟

أنطونيو : لم أره .

بياتريس : لشد ما يلوح هذا السيد نكداً مكتئباً ،
ما رأيته مرة إلا أحسست حرقة قلب
ساعة بعد رؤيته[1] .

هيرو : إنه ذو مزاج سوداوى .

بياتريس : ما أبدع الرجل الذى
هو وسط بينه وبين بنيديك :
أحدهما أشبه بصنم لا يتكلم ،
والآخر أشبه شىء بالابن الأكبر المدلل لا يكف عن الثرثرة

---

(١) تعنى الحرقة التى يشعر المرء بها عقب تناول طعام حريف ، إشارة إلى حموضة مزا

(٢) أى لو أن الرجلين مزجا لكان من مزجهما رجل بديع . وفى الأصل عن الابن ا
قوله « الابن الأكبر لسيدتى » وهو تعبير لا يقصد به سيدة معينة ولكن المراد منه هو أ
الأبناء الذى سوف يرث أبويه ، كما هو الشأن فى قانون الوراثة عند الإنجليز ، ومن ثم يـ
المدلل فى الأسرة فلا يكف عادة عن الكلام .

ليوناتو : ليت نصف لسان السنيور بنيديك
في فم الكونت جون .
ونصف كآبة الكونت جون في وجه السنيور بنيديك.

بياتريس : إن رجلاً كهذا يا عماه ، إذا جمع إلى ما وصفت .
ساقاً طيبة ، وقدماً حسنة ، ومالاً في كيسه كافياً ،
لظافر بأية امرأة في العالم ،
إذا استطاع كسب مرضاتها .

ليوناتو : يمين الحق يا ابنة الأخ ،
لن تصيبي على الدهر كله زوجاً إذا ظل لسانك
على هذا النحو سليطاً .

أنطونيو : في الحق إنها ذات لسان مفرط في سلاطته.

بياتريس : المفرط في سلاطته معناه أكثر من سليط ،
وحاشا أن أغض من عطية الله من هذه الناحية ،
فقد قيل إن الله يعطى البقرة الشكسة قرنين قصيرين ،
ولكنه لا يهب الشكسة أكثر مما ينبغي شيئاً من القرون(١)

ليوناتو : ومعنى هذا أن الله لن يعطيك قروناً
ما دمت سليطة أكثر مما ينبغي.

---

(١) مثل قديم لعله مثل لاتيني ومعناه أن الله يهب قروناً قصيرة للثور الشرس ، أي إن الغضاب من الناس لا يستطيعون الإيذاء الذي يظن أنهم القادرون عليه .

بياتريس : هذا يصدق كل الصدق ، إذا هو لم يهبنى زوجاً ،
وهى نعمة أشكرها له وأصلى له من أجلها كل صباح ومساء ،
رباه إنى ، لا طاقة لى بزوج ذى لحية ،
وأوثر الرقاد بين الأغطية الصوفية من غير ملاءات[١]

ليوناتو : قد تقعين على زوج لا لحية له .

بياتريس : ماذا أصنع به ؟
أألبسه ثوبى وأتخذه وصيفة لى ؟
فأما من أوتى لحية فهو أكثر من شاب ،
وأما من لا لحية له فهو أقل من رجل ،
ومن هو أكثر من شاب لا يصلح لمثلى ،
ومن هو أقل من رجل لا أصلح أنا له ،
فالخير لى إذن أن آخذ دراهم معدودات من القرّاد
وأستاق قردته إلى الجحيم .

ليوناتو : وهل تدخلين عندئذ الجحيم ؟

بياتريس : كلاّ . . . بل أسير بها إلى الباب
فيلتقى إبليس بى لديه ، ديوثاً شيخا
ذا قرنين ، فيقول لى :

---

(١) أى تفضل عند النوم الغطاء المألوف كناية يرمى بها إلى الشعر الذى تجتمع منه لحية الرجل ، ولكنها أيضاً لا ترضى بزوج غير ملتح ، ولها فى ذلك تعليل لطيف كما سيرد .

« اذهبي بياتريس إلى الجنة ، لا مكان هنا للأبكار » ،
وعندئذ أسلمه قرودى [١] ، وأنطلق إلى القديس بطرس فى الجنة
فيريني المكان الذى يقيم فيه العزاب ؛
فنعيش هناك ونمرح ما طال النهار .

أنطونيو : (مخاطباً هيرو) يقيني أنك ستطاوعين أباك وترضين بولايته .

بياتريس : أجل والله ، إن واجب ابنة عمى
أن تنحنى لأبيها أدباً وتقول :
« أبت ، افعل ما تشاء » ،
ولكن ليكن فتى وسيما ،
وإلا انحنت لأبيها انحناءة أخرى
وهى تقول : « أبت ، أفعل ما أشاء » .

ليوناتو : أرجو يا ابنة الأخ أن أراك يوماً ذات زوج .

بياتريس : حاشا . . حتى يخلق الله الرجال
من عنصر آخر غير « التراب » .
ألا يخزن المرأة أن تسيطر عليها قطعة من حمأ مسنون ؟ ،

---

(١) فى الأصل « بجد » أى فعلا : وهو العربون على قبول العمل وقلنا المتنقل بالقردة تجاوزا ، لأنه فى النص صاحب الدببة الذى ينتقل فى الموالد والمهرجانات لحملها على الرقص أمام المشاهدين . وأكبر الظن أن استياق القردة إلى الجحيم : جزء من مثل قديم يشير إلى فكرة شائعة وهى أن النساء اللاتى يأبين الزواج مقضى عليهن بعد الموت بالطواف بها حول جهنم وقد وردت هذه العبارة فى رواية أخرى لشكسبير . ولكن لا يدرى أحد سر تحديد هذه العقوبة لهن .

أليس أثما لها أن تقدم حساباً عن حياتها إلى
قبضة من تراب جاف ؟
كلا يا عماه ، لن يكون لى بعل ،
إن أولاد آدم إخوتى ، وفى الحق إننى
لأعد الزواج من ذوى قرابتى إثماً[١]

ليوناتو : تذكرى يا ابنتى ما قلته لك ،
إذا فاتحك الأمير فى هذا الأمر[٢]
فأنت تعرفين الجواب .

بياتريس : سيكون الذنب يا ابنة العم ذنب الموسيقى
إذا لم تخطبى فى الحين المناسب .
فإن رأيت الأمير ملحفاً ملحاً فقولى له :
إن الاعتدال مطلوب فى كل شىء ،
وانطلقى بالجواب خطراناً ورقصاً ،
واعلمى يا هيرو أن الغزل
ثم القران ، ثم الندامة ، أشبه برقصات ثلاث ،

---

(١) تعليل جميل لكراهيتها الرجال وعدم رغبتها عن الزواج ، فقد بدأت بالسخرية وعللت كراهيتها للقران بالكبرياء ، لأن الرجل مخلوق من تراب ، ثم انتهت متلطفة فقالت إنهم إخوتها من آدم ، ومن الإثم أن تتزوج الأخت أخاها .

(٢) أى الخطبة والقران . فى الأصل « مهما » ولكن الصحيح هو ما ذكرنا للتشابه فى الإنجليزية بين مهم وملحاح .

وهى الرقصة الإسكتلندية السريعة الدوامة، والرقصة المتئدة
المتزنة . والخطوات الخمس[١] .
فأما الأولى وهى « الخطبة » فحارة عجلى
كالرقصة الإسكتلندية
وأما خطوة القران فمعتدلة كالرقصة الثانية
وإن حفلت بكل ما شئت من فخفخة ،
وحشمة وحفاظ قديم :
ثم تأتى خطوة الندامة فتتخاذل فيها من الرجل الساقان ،
وتمضيان إلى الرقصة الثالثة وشيكاً وتتحولان ،
حتى يتردى الرجل فى قبره .

ليوناتو : إنك لعليمة بفنون الرقص خبيرة يا ابنة العم !

بياتريس : إن لى عيناً حديدية يا عماه ،
وأستطيع أن أبصر
كنيسة على ضياء النهار[٢]

---

(١) استعارة من الرقص . وقد أجاد شكسبير وصف الأدوار الثلاثة والخطوات الخمس رقصة الرقم ٥ . وهى تسمى بالفرنسية « سانك پا » وكذلك وردت فى النص .

(٢) هكذا فى الأصل ، ولكن المراد أنها تستطيع الذهاب إلى الكنيسة ليعقد فيها قرانها أى إنها مدركة ماذا وراء الزواج وجملة متاعبه.

ليوناتو : المدعوون يا أخى قادمون ، فافسحوا لهم .

(يضع الجميع أقنعتهم على وجوههم)

(يدخل دون بدرو — وكلوديو — وبنيديك — وبلتازار — ودون جون — وبوراشيو — ومرجريت — وأرسولا — وغيرهم والجميع مقنعون) .

دون بدرو : أيتها السيدة هل تسمحين بأن تخطرى مع صديق لك ؟

هيرو : بشرط أن تخطر برفق . وتنظر بلطف ، ولا تقول شيئاً ، إننى لك سيراً وخطراناً ، وخاصة حين أنسحب .

دون بدرو : وأنا فى صحبتك ؟

هيرو : قد أقول ذلك ، حين يروقنى .

دون بدرو : ومتى يروقك أن تقوليه ؟

هيرو : حين يرضينى وجهك ، ويعجبنى محياك، وأرجو الله أن لا يكون المزهر كغطائه[١] .

دون بدرو : إن قناعى هو سقف فيلمون . فى بيت زفس .

---

(١) أى إن القناع الذى تقنعت به قبيح ولا مسحة عليه من جمال ، وأعوذ بالله إن كان الوجه الذى يخفيه قبيحاً مثله . والمزهر كفعل هو القيثار .

هيرو : أولى به إذن أن يكون من قش[١]

دون بدرو : اغضضى من صوتك ، إذا شئت الكلام فى الحب

(يتنحى بها جانباً)

بلتازار : (وهو يراقص مرجريت) أود لو أنك تميلين إلىّ .

مرجريت : لا أود أن أفعل . وهذا من أجل مصلحتك

لأن لى عيوباً كثيرة .

بلتازار : وما هو أولها ؟

مرجريت : إننى أجهر بصلاتى

بلتازار : هذا ما يزيدنى لك حبًّا . . .

فقد يصيح السامعون آمين

مرجريت : اللهم هبنى راقصاً بارعاً .

بلتازار : آمين

مرجريت : والله أبعده من عينى

إذا انتهى الرقص . . . أجب يا كاتب[٢]

---

(١) يشير شكسبير هنا إلى قصة « فيلمون » فى الأساطير اليونانية القديمة فقد كان فيلمون زوجاً ليتوسيس ولما زار زفس وهرمس مدينة « برجيا » التى ينتمى فيلمون إليها متنكرين فى زى البشر لم يقبل أحد إكرام مثواهما إلا فيلمون وامرأته فقد استضافاهما فى كوخ حقير ذى سقف معروش فجزاهما زفس أحسن الجزاء وعاقب أهل برجسيا بسيل عرم . وحقق الأمنية الوحيدة التى كانت لهما وهى أن يموتا معاً فى لحظة واحدة .

(٢) هو فى الكنيسة الموكل بالقناديل أو « القندلفت » والإشارة هنا عند انتهاء كل صلاة أن يقول آمين .

بلتازار : لا كلام عندى . . لقد تلقى الكاتب الجواب .

أورسولا : (لأنطونيو وهى تراقصه) أعرفك حق المعرفة ، فأنت السنيور أنطونيو .

أنطونيو : ثق أنى لست هو .

أورسولا : أعرفك بهزة رأسك .

أنطونيو : إن شئت الحق قلت إننى أقلده.

أورسولا : ما كان فى وسعك أن تجيد تقليد معايبه إلى هذا الحد لو لم تكنه حقاً .
ها هى ذى يده الخشنة تعلو وتهبط .
أنت هو . . . أنت هو .

أنطونيو : ثق أنى لست هو .

أورسولا : أقبل ! أقبل ! أتحسبنى لا أعرفك
من حدة ذكائك وفائق فطنتك ، وهل فى وسع الفضيلة
أن تخفى نفسها ، هيا قل إنك هو .
الفضل ظاهر ، فلا مجال لقول قائل .

بياتريس : (وهى تراقص بنيديك) ألا تريد أن تنبئنى من قال لك ذلك؟

بنيديك : كلا ، ومغفرة .

بياتريس : أولا تنبئنى من أنت ؟

بنيديك : لن أنبئك بذلك الآن .

بياتريس : إن الذى قال عنى إننى متكبرة متعجرفة
وأن نكاتى البارعة مأخوذة من « المائة نادرة »
هو السنيور بنيديك[١]

بنيديك : ومن يكون ؟

بياتريس : إننى على يقين من أنك تعرفه
جد المعرفة .

بنيديك : لست أعرفه . . . صدقينى

بياتريس : ألم يـثر يوماً فى نفسك الضحك ؟

بنيديك : أناشدك من هو ؟

بياتريس : كيف هذا ؟ إنه مهذار الأمير[٢] ،
وهو مضحكه ، سمج ، كل موهبته اختراع
فريات ووشايات لا تجوز على عاقل ،
ولا يستروح إليها غير الفتيان المستهترين ،

---

(١) هو كتاب « نكت » قديم طبع فى سنة ١٥٢٦ وكل النكات فيه « سقيمة » وقد وصف بنيديك أمازيح بياتريس هذا الوصف وهو يريد به أن نكاتها كذلك وأنها محفوظات لا نكات تأتى على البديهة . والكتاب يحوى مائة قصة أو نادرة ولعله ترجمة كتاب « ديكامير ون» الذى وضعه بوكاشيو الإيطالى وكان قد نقل إلى الإنجليزية فى عهد شكسبير .

(٢) كان لدى كل أمير « مهذار » أو مهرج فى خدمته . وقد كتبت مارى لام أخت تشارلس لام فى كتابهما « قصص من شكسبير » تقول إن هذه الكلمة كانت أعمق أثراً فى نفس بنيديك من سائر نكات بياتريس وسخرياتها . وقد اعترف بنيديك بذلك فى مناجاته لنفسه كما سيرد بعد .

لا يرضيهم منه ذكاؤه وإنما يثيرهم خبثه ،
فهو يرضى الناس ويغضبهم . فيضحكون منه ثم يضربونه ،
وأنا واثقة أنه بين الحاضرين ،
وددت لو أنه تعرض لى .

بنيديك : سأقول له كل هذا حين أعرفه .

بياتريس : أرجوك أن تفعل . وسوف ينالنى بنكتة
أو نكتتين وقد لا ينتبه أحد إليها .
ولا يجد من يضحك لها . فتنتابه الكآبة ، ويصيبه الغم ،
وفى ذلك اقتصاد جناح بطة[1] .
لأن هذا المغفل لن يأكل الليلة . (تعزف الموسيقى)
دعنا نتبع الراقصين الأولين .

بنيديك : فى كل شىء حسن .

بياتريس : أجل ، وإذا ساقانا إلى شين
تركتهما عند أول منعطف .

(رقص ، ثم ينصرف الجمع عدا دون جون وبوراشيو وكلوديو)

دون جون : لا شك عندى فى أن أخى مستهام بهيرو
وقد انتحى بأبيها ناحية ليتحدث إليه عنها ،
وقد رأيت السيدات يتبعنها :

---

(١) أى سيوفر شيئاً من الطعام لأنه سيتألم فلا يقبل عليه .

ولم يبق غير وجه واحد ملثم .

بوراشيو : وهو وجه كلوديو . إننى أعرفه من سمته.

دون جون : ألست السنيور بنيديك ؟

كلوديو : أنت تعرفنى حق المعرفة . أنا هو .

دون جون : أنت يا سنيور صاحب سر
أخى[1] فى حبه ، إنه بهيرو مغرم كلف ،
أناشدك أن تثنيه عن حبها لأنها لا تساويه مولداً ،
ولو قد فعلت ، لأديت إليه ما يؤديه الناصح الأمين .

كلوديو : من أين عرفت أنه يحبها ؟

دون جون : لقد سمعته يقسم أنه يحبها.

بوراشيو : وأنا كذلك ، وقد حلف أنه سيتزوج بها الليلة.

دون جون : هلم بنا إلى المأدبة

(يخرج دون جون وبوراشيو)

كلوديو : (مناجياً نفسه) هكذا أجبت باسم بنيديك ،
وإن سمعت نبأ سوء بأذنى كلوديو .
إن الأمر مؤكد فإن الأمير يخطبها لنفسه .
إن الصداقة فى كل شىء وفية وموضع ثقة إلا فى خدمة الحب .

---

(١) من هيئته أو حركاته أو مظهره—فى الأصل أنك قريب جداً منه فى حبه ولكن المعنى المراد هو أنه يعرف كل شىء عن هذا الحب ، وأن أخاه يثق به و يتحدث إليه عنه .

وشئونه ، ولهذا السبب ينبغى للقلوب المحبة أن لا تستخدم
سوى ألسنتها ولتفاوض كل عين عن ذاتها ، ولا تثق بأحد
يتولى المفاوضة عنها .
لأن الجمال ساحر ،
لا يلبث الوفاء حيال فتنته أن يستحيل هياماً .
وأن هذا الحادث ينهض الدليل فى كل ساعة على صحته ،
ولكنى لم أفطن إليه ، ولهذا وداعاً يا هيرو . . .
إنى عنك لمنصرف

(يدخل بنيديك)

بنيديك : الكونت كلوديو ؟

كلوديو : نعم . ها أنذا

بنيديك : هلم . . . ألا تأتى معى ؟

كلوديو : إلى أين ؟

بنيديك : إلى أقرب صفصافة[1] يا كونت ،
فهناك المكان الذى يليق بك ،
قل لى فى أى شكل تريد أن تضع إكليلك[2] ؟ ،

---

(١) الصفصافة : رمز الحب البائس .
(٢) أى أذبل من الصفصاف .

أحول عنقك كسلسلة المرابى [١]؟ .
أم حول ذراعك كشارة الضابط [٢]؟ .
واحدة من اثنتين. لأن الأمير قد ظفر بهيرو التى فتنتك.

كلوديو : ليفرح بها

بنيديك : ما هذا ! إنك لتتكلم بلهجة بائع الماشية الأمين فى سوق العجول، ولكن هل كنت تظن الأمير فاعلا بك هذا؟

كلوديو : إليك عنى . . . أرجوك .

بنيديك : وى . . إنك الآن تتخبط كالأعمى اصطدم بالعمود .
إن الغلام هو الذى سرق لحمك ،
ولكنك تصطدم بالعمود [٣].

كلوديو : إذا لم تنصرف عنى انصرفت أنا عنك . (ينصرف)

بنيديك : (لنفسه) وا أسفاه . . أيتها الدجاجة الجريح المسكينة . .
إنها الساعة متسللة إلى العشب الملتف تخفى جرحها . .

---

(١) كانت عادة كبار الناس والتجار وهم يومئذ المرابون أن يلبسوا سلاسل من الذهب، كما يفعل اليوم فى بريطانيا أصحاب المناصب فى الحفلات الرسمية .

(٢) كالوشاح يلبس فوق إحدى الكتفين وتحت الذراع المقابلة . والمعنى هل أنت معتزم أن تفعل كاليهود والمرابين فى هذه المسألة فتطالب الأمير بتعويض عن خسارتك أو فى نيتك أن تكون جندياً فتطلب إليه المبارزة غضبة لكرامتك ؟

(٣) حكاية كانت معروفة فى ذلك الحين عن رجل أعمى سرق غلام لحماً له وحاول الفرار به ، فجعل الأعمى يعدو وراءه فيصطدم بعمود فى طريقه وهو لا يشعر .

ولكن سواء عرفتني السيدة بياتريس أو لم تعرفني :
مهذار الأمير(١) . . ها . ها . . لعلى حملت هذا اللقب
لأنى أخو فكاهة مرح .
نعم . غير أنى بذلك أسيء إلى نفسى .
ولكنى لم أشتهر بهذا . وإنما هى نزعة
بياتريس السافلة ،
وفطرتها المريرة التى جعلتها تضع العالم كله فى شخصها ،
وتصفنى بهذا الوصف . ولكنى سأنتقم منها إذا وجدت
إلى الانتقام سبيلا .

(يدخل دون بدرو)

دون بدرو : والآن يا سنيور أين الكونت ؟ ألم تره ؟

بنيديك : يمين الحق يا مولاى . .
لقد مثلت دور السيدة « شائعة »(٢) :
فقد وجدته هنا ساهماً كئيباً ككوخ الحارس الموكل بأرض

---

(١) فى مناجاته لنفسه يردد كلمة قالتها له بياتريس وهى أنه مهذار الأمير وقد جرحته هذه الكلمة وتألم لها أشد الألم كما يبدو هنا ، ولكنه عاد يسرى عن نفسه بأن أحداً لم يقل هذا عنه وإنما هى من فرط غرورها وضعت العالم كله فى شخصها ورمته بهذه الكنية .

(٢) أراد شكسبير بهذا أن يجعل « الإشاعة » سيدة فدعاها «السيدة إشاعة» من قبيل إطلاق العاقل على غير العاقل . والمعنى أنه يمثل دورها وأنه سيحكى لدون بدرو ما جرى بينه وبين كلوديو والنسب الذى سيكون هذا حين سمع النبأ منه .

صيد[1] فأنبأته ، وأحسبني أنبأته الحق ،
إن مولاى ظفر برضى هذه الغانية الشابة ،
وعرضت عليه أن يصحبني إلى شجرة صفصاف ،
لأصنع له إكليلا من ورقه
شأن الفاشل فى حبه ،
أو لأعد له منها عصا لأنه استوجب الضرب .

دون بدرو : الضرب ؟ وما الذنب الذى أتاه ؟

بنيديك : ذنب تلميذ تناهى به الفرح بالعثور على عش عصافير
فأراه لصاحبه فسرقه هذا الصاحب .

دون بدرو : هل تعد الثقة ذنباً ؟
إن الذنب ذنب السارق .

بنيديك : ولكن هذا هو الذى جرى . العصا أعدت ، والإكليل
عقد ، ولم يكن هذا عبثاً .
فأما الإكليل فقد كان من الجائز أن يلبسه هو ،
وأما العصا فلعله منعم بها عليك ،
لأنك كما فهمت منه سرقت عش عصافيره .

دون بدرو : سأعلمها الشدو ثم أردها إلى صاحبها .

بنيديك : عيناً لقد قلت حقاً إن تحقق ما تقول .

---

(١) فى مزرعة أرانب يقوم كوخ صغير للحارس ، وهو بطبيعة الحال منعزل بعيد من الناس قاتم .

م — ١

دون بدرو : إن السيدة بياتريس منك غضبى؛ فإن السيد الذى راقصها
نبأها أنك أخطأت كثيراً فى حقها .

بنيديك : لقد أساءت إلىّ إساءة
لا يحتملها الصخر ،
ولو أن سروة لم يبق عليها غير ورقة خضراء
لما أطاقت السكوت عليها .
إن قناعى نفسه لم يلبث أن دبت فيه الحياة
فرد عليها وكال لها بكيلها .
لقد قالت لى ، وهى لا تظن أننى أنا مراقصها :
« إننى مهذار الأمير » وإننى أبرد من لوح ثلج ،
ومضت ترمينى بنكتة فى إثر نكتة ببراعة لا يتصورها العقل،
حتى لقد لبثت أمامها كأننى هدف لرمية جيش بأكمله.
إن كلماتها كالخناجر وكل لفظة منها طعنة سنان ،
ولو كانت أنفاسها فى مثل بشاعة كلماتها ،
لما توانت الحياة لأحد بقربها . بل لأصابت نجم القطب
الشمالى بعدواها .
ولست أرضى الزواج بها
حتى ولو أتيح لها كل ما أنعم به على آدم قبل الخطيئة[١].

(١) أى كل ما أنعم الله به على آدم من سمو ورفعة على جميع مخلوقاته الأخرى .

ولو أن هرقل مُنِى بها لجعلته يقلب على الجمر سفودا ،
بل لكسر عصاه ليجعل منها وقوداً[١] .
دعنا من الحديث عنها ،
فإنك لواجدها ربة الجحيم «آتى» القديمة[٢]
فى زى حُسْن ، وليت الله
يقيض لنا عالماً يبطل سحرها ، ويطرد عنا شرها[٣] ،
وما دامت هنا بيننا ،
فليس من شك فى أن المرء ليحيا فى
الجحيم هادئاً راضياً كأنه فى الجنة ،

---

(١) إشارة إلى قصة هرقل وأومفال ، وهى أن هرقل فى نوبة جنون قتل صاحبته إيفيناس فأصيب بمرض جزاء له على جرمه ، ولم ينج منه إلا ببيعه عبداً رقيقاً ليخدم أومفال ثلاث سنين فلم يلبث أن وقع فى هوى مولاته ولبس زى النساء وجعل يغزل الصوف كما يغزلن ويعمل عدة أعمال مهينة أخرى . فيشوى الطعام على السفود ويقلبه على الجمر وقد كسر عصاه التى كان معروفاً بها فى الصور التى رسمت له حتى تظل النار تحت السفود متأججة .

(٢) ابنة زيوس التى ورد فى الأساطير اليونانية أنها كانت تقود الآلهة الأخرى والرجال إلى القيام بأعمال تنم عن طيش ، ثم تسوقهم إلى حتوفهم ، وهكذا تجعل الإثم ذاته يضع عقوبته فهى من هذه الوجهة ربة الانتقام . وقول المؤلف «فى شكل جديد» معناه أنها «آتى» الأخرى أو الجديدة التى ظهرت فى شكل حديث . وقد رأينا الشاعر يكثر من إيراد اسمها خلال مختلف رواياته .

(٣) أى كما يفعل السحرة حين يطلقون البخور ويرددون كلمات غير مفهومة لطرد الجن والأرواح الشريرة من أجسام المصابين بها .

ويرتكب الناس الخطيئة عامدين ،
لأنهم يريدون الذهاب إلى جهنم ،
فالشر والنكر والفوضى كلها تبع لها وحشم .

دون بدرو : حذار — إنها قادمة

(يدخل كلوديو وبياتريس وهيرو وليوناتو)

بنيديك : ألا تأمرنى يا مولاى بتأدية أية خدمة لك فى أقصى الأرض ،
أود لو أرسلت فى
أتفه مهمة تشير بها فى الجهة المقابلة لهذه القارة ،
بل إنى لراض أن ألتمس لسماحتك
سواكاً من أبعد ركن فى آسيا ؛
أو آتيك بمقياس قدم القس يوحنا[1]
أو شعرة من لحية الملك تشام[2]
أو أتولى أية سفارة لك لدى الأقزام[3] ،

---

(١) برستّر جون الذى ورد فى الأساطير أنه ملك الهند أو أثيوبيا وقد سمى قساً لأنه آثر أن يدعى كذلك ويتخلى عن لقب الملك وأقسم أن يتسمى بأول قس يلقا وكان هذا يدعى «جون» فانتحله .

(٢) اسم ملك المغول واشتهر بلحيته فقيل لحية تيمور شام .

(٣) قوم قيل فى الأساطير إنهم قصار القامات يعيشون فى الهند وجاء ذكرهم فى شعر هومير وقال إنهم يعيشون على السواحل « أوشيانا » أى أوقيانوس .

فذلك عندى خير من التحدث بثلاث كلمات مع
هذا العُقاب[١] .
هل من خدمة أؤديها لك يا مولاى ؟

دون بدرو : لا شيء إلا رغبة الاستمتاع بمحضرك .

بنيديك : رباه . يا سيدى . هذا طعام لا أسيغه ،
لأنى لا أطيق ذات اللسان[٢] (يخرج)

دون بدرو : هلمى يا سيدتى . هلمى .
لقد خسرت قلب السنيور بنيديك .

بياتريس : لقد أعارنيه يا مولاى منذ هنيهة .
وأديت له الفائدة[٣] ، قلبين اثنين لقاء قلب واحد ،
يميناً لقد أحسنت فى قولك يا مولاى إننى خسرته .
فقد كسبه مرة من قبل بنرد مزيف[٤]

دون بدرو : لقد صرعته يا سيدتى . . لقد صرعته .

---

(١) العقاب من جوارح الطير — ومن فصيلة النسور . ولكنه فى الأساطير يوصف بطائر كاسر له وجه امرأة.

(٢) ذات اللسان أى « السليطة » وفى الأصل « السيدة لسان » .

(٣) الفائدة مقابل تسليف قلبه بإعطائه قلبا .

(٤) تشير هذه العبارات ، على الأرجح ، إلى واقعة غرام قديمة بينهما كاد بنيديك يخدع بياتريس كما يؤخذ من قولها إنه كسب مرة بنرد مزيف ولكن لا يبدو شيء من هذه الواقعة فى المسرحية .

بياتريس : ولهذا أود أن لا يفعل هذا بى يا مولاى
مخافة أن أُعد أم الحمقى . .
لقد جئت بالكونت كلوديو الذى أوفدتنى للبحث عنه[١]

دون بدرو : كيف أنت يا كونت .
وما بالى أراك حزيناً ؟

كلوديو : لست حزيناً يا مولاى !

دون بدرو : ما بالك إذن . . أمريض ؟

كلوديو : لا هذا ولا ذاك يا مولاى

بياتريس : ليس الكونت بمحزون ، ولا هو بمريض ،
ولا هو بمبتهج ، ولا هو بموفور العافية ،
ولكنه حمض قليلا كالبرتقالة الأشبيلية[٢] .
وبه شىء من أعراض الغيرة وسماتها .

دون بدرو : يميناً أيتها السيدة إنى لأحسب إشارتك هذه صادقة .
وإن كنت أقسم أنه واهم فى تقديره إن كان كذلك .
اسمع يا كلوديو لقد خطبت باسمك ،

---

(١) لم يرد من قبل شىء يوحى بأن دون بدرو طلب إليها البحث عن كلوديو .

(٢) حمض – من الحموضة . ومن هنا وصفته « بالبرتقالة » والموالح فى الشام ندعى « الحمضيات » وقد أضفنا نحن إلى البرتقالة قولنا « الإشبيلية » لأن اللفظة Civil معناها بين الحلاوة والحموضة وكانوا فى عهد شكسبير ينطقون لفظة Sivill أى مدينة « أشبلية » الأسبانية كأنها لفظة سيفيل .

وفزت لك بالحسناء هيرو ؛
وأفضيت بالنبأ إلى أبيها وظفرت برضاه .
فعين يوم القران وأدعو الله لك بالهناءة .

ليوناتو : خذ يا كونت منى ابنتى ، ومعها ثروتى ،
فإن قداسته خطب ،
والله جل جلاله أمن على خطبته .

بياتريس : تكلم يا كونت ، فهذه فرصتك[1]

كلوديو : الصمت أكمل بشائر الفرح ،
ولو وصفت مقدار سعادتى ، لأنقصت منها ،
سيدتى ، أما وأنت لى ، فأنا لك ،
إنى لك واهب نفسى ، ومغتبط بهذا التبادل .

بياتريس : تكلمى يا ابنة العم ، وإن لم تقدرى ،
فأغلقى بقبلة فمه ولا تدعيه هو الآخر يتكلم .

دون بدرو : يميناً أيتها السيدة لقد أوتيت قلباً مرحاً .

بياتريس : أجل . يا مولاى ، وإنى لهذا القلب الأحمق لشاكرة ،
لأنه يأبى إلا أن يبقى أبداً فى مأمن من الهم ،
إن ابنة العم تقول له فى أذنه إنه يسكن فى قلبها .

---

(١) أو المفتاح – إشارة إلى أن الباب قد فتح ليتكلم ويعلن ما فى نفسه . ولكنه أجاب بقوله إن الصمت أكمل بشائر الفرح كما ترى .

كلوديو : وإنها لتسكن قلبي يا ابنة العم .

بياتريس : رب . ألا من زوج ![1] .

أفكل إنسان يدخل الدنيا ما خلاى . . .

لقد لوحتني الشمس[2]

فليس لى إلا أن أجلس فى ركن أغنى

واها . ألا من زوج ![3]

دون بدرو : يا سيدتى بياتريس إن لك عندى زوجاً .

بياتريس : إنى لأوثر أن يكون من ذرية أبيك ،

أليس لقداستك أخ على غرارك ،

لقد أنجب أبوك أحسن الأزواج ،

لو أتيح لفتاة الظفر بأحدهم .

دون بدرو : هل ترتضينى يا سيدتى ؟

بياتريس : كلا يا مولاى ما لم يكن لى

بعل آخر لأيام العمل[4] ،

لأن قداستك أغلى من أن تلبس فى كل يوم ،

---

(١) الكلمة فى الأصل « مخالفة » ولكن المعنى كما يبدو وصلة من طريق الزواج أو نسب ومصاهرة .

(٢) المعنى الذى ترمى بياتريس إليه هو أنها قبيحة .

(٣) مطلع أغنية قديمة تدور حول لهفة البنات على الأزواج .

(٤) أى أنت للزينة فقط أيام الأحد ، وغيرك للستة الايام الباقية من الأسبوع .

ولكننى أستميحك مغفرة فقد ولدت هكذا ،
أقول هزلاً ، ولا أقول شيئاً ذا معنى .

دون بدرو : إن أشد ما يؤلمنى أن لا تتكلمى ،
فإن المرح أليق شىء بك ،
فأنت بلا نزاع مولودة فى ساعة سعد

بياتريس : كلا بلا ريب يا مولاى فقد كانت أمى تبكى ،
ولكن كان هناك نجم فى السماء يرقص ،
ومن تحته جاء مولدى ،
يا بنى العم ، متعكم الله بالسرور .

ليوناتو : يا ابنة الأخ ، هلا عنيت بالأشياء التى قلت لك عنها [1]

بياتريس : أستأذنك يا عمى ، مولاى عن إذنك .

(تخرج)

دون بدرو : يمين الحق أنها لسيدة خفيفة الروح

ليوناتو : ليس فيها يا مولاى غير قليل من العنصر السوداوى [2]
فهى لا تكتئب إلا فى المنام ،

---

(١) أراد عمها إخراجها ليخلو له الحديث مع دون بدرو .

(٢) العنصر السوداوى هو الماء لأن الأحياء فى هذه الخليقة مركبة من أربعة عناصر وهى الهواء والتراب والنار والماء . وهى مقابلة للأخلاط الأربعة فى الجسم وهى الصفراء والدم والبلغم والسوداء ، ومن هنا كان الماء معناه السوداء .

م – ١

ولا أحسبها حتى فيه بمكتئبة
فقد سمعت ابنتى تقول :
إنها كثيراً ما حلمت بالبؤس ،
ثم استيقظت ضاحكة .

دون بدرو : إنها لا تطيق أن تسمع أحداً يتحدث إليها عن الزواج .

ليوناتو : بلى.. إنها لتستهزئ بكل خطابها وتردهم بذلك عن خطبتها .

دون بدرو : لو تزوجت بنيديك لكانت خير الزوجات !

ليوناتو : سبحان الله يا مولاى . . . لو لبثا زوجين أسبوعاً واحداً
لأدى بهما الحديث إلى الجنون .

دون بدرو : متى تنتوى يا كونت كلوديو الذهاب إلى الكنيسة ؟

كلوديو : غداً يا مولاى . إن الزمن يمشى على عكاز ،
حتى يستكمل الحب مراسمه .

ليوناتو : لن يتم هذا قبل يوم الاثنين يا بنى العزيز .
أى بعد أسبوع ،
وهى فترة وجيزة لإتمام كل ما فى نفسى تحقيقه .

دون بدرو : لا تهزز رأسك هكذا متبرماً بطول الوقت[١] ،
ولكننى أؤكد لك يا كلوديو أن الوقت لن ينقضى علينا
ثقيلاً مضجراً ،

---

(١) فى الأصل « بطول النفس » أو الفترة التى يملك فيها المرء أنفاسه ليستريح .

فسأتولى خلاله إنجاز عمل من الأعمال التى فرضت قديماً
على هرقل[١]
وهو تأليف قلبى السنيور بنيديك والسيدة بياتريس ،
والوصول بهما إلى ذروة التعاطف والمودة المتبادلة .
وبودى لو يتحقق زواجهما ولست أشك فى تحقيقه ،
إذا تيسر لثلاثتكم تقديم المعونة التى سأوجهكم إليها .

ليوناتو : أنا معك يا مولاى ولو كلفنى ذلك السهر عشر ليال .

كلوديو : وأنا يا مولاى .

دون بدرو : وأنت أيضاً يا هيرو الرقيقة ؟

هيرو : سأبذل يا مولاى جهدى المتواضع ،
فى معاونة ابنة عمى على الظفر بزوج صالح .

دون بدرو : ليس بنيديك بأقل الرجال صلاحية للزواج[٢] ،
وليس الأمل فيه زوجاً أضعف الأمل ،

(١) وكانت هذه الأعمال أثنى عشر وقد فرضها عليه « أرسيتوس » ونعنى بها [١] قتل الأسد – [٢] قتل الحية المتعددة الرؤوس كلما قطعت لها رأساً نبت لها رأس – [٣] صيد الوعل – [٤] القضاء على الدب – [٥] تنظيف الإسطبلات – [٦] قتل العصافير التى تأكل اللحوم البشرية فى بحيرة سترمفاليس – [٧] القبض على الثور الكريتى – [٨] ترويض خيول الملك ديوميدس إلخ . والمعنى أنه عمل شاق كبعض هذه الأعمال التى طلبت من هرقل .

(٢) فى الأصل كلمة مركبة نافية معناها أكثر الناس قلة أمل فى أن يكون الزواج صالحاً وهذا ما عبرنا عنه بالاتباع فى العبارة التالية .

وهذا هو كل ما فى وسعى أن أمدحه به .
إنه رجل عريق المحتد وأخو شجاعة مشهودة وأمانة مؤكدة ،
وسأعلمك كيف تغرين ابنة عمك بحب بنيديك ،
وأتولى أنا بعونكما الأمر من ناحية بنيديك نفسه ،
رغم حاضر بديهته ، وسرعة تأثره ،
حتى يقع فى حب بياتريس ،
ولو استطعنا ذلك ، لما عاد كيوبيد بعد اليوم نابلا[١]
بل سينقل مجده إلينا فنصبح نحن آلهة الحب وحدنا .
هلموا بنا ندخل لأنبئكم بما عقدت النية عليه .

(يخرجون)

المنظر الثانى

المكان ذاته

يدخل دون جون و بوراشيو

دون جون : الأمر كما قلت ، وسيقترن الكونت كلوديو بابنة ليوناتو .
بوراشيو : أجل يا مولاى ، ولكننى قادر على أن أحول دونه .

---

(١) أى سنتولى نحن ذلك وتنتقل شهرته إلينا .

دون جون : كل حائل . أو عائق ، أو عقبة أو مانع ،
شفاء لما أجده ، إنى مريض من الموجدة عليه ،
فكل ما يعوق حبه يرضينى ،
نبئنى كيف تستطيع أن تمنع الزواج ؟

بوراشيو : لا صراحة يا مولاى وجهاراً ، بل خفية وسراراً .
بحيث لا يبدو منى غدر ، ولا تظهر خيانة .

دون جون : أرنى كيف ، وأوجز .

بوراشيو : أحسبنى قد نبأتك يا مولاى منذ عام مضى ،
عن مدى حظوتى عند مرجريت ، وصيفة هيرو .

دون جون : أذكر ذلك

بوراشيو : إننى مستطيع فى أية لحظة غير مناسبة ليلا .
أن أجعلها تطل من نافذة مخدع مولاتها .

دون جون : وكيف تستطيع بهذه الفكرة أن تقضى على زواجه ؟

بوراشيو : إن فيها لسمًّا عليك أنت أن تركّبه[1] ،
فاذهب إلى الأمير أخيك ،
وأبلغه أنه قد ثلم شرفه ،
وأساء إلى كرامته بترويج كلوديو الذائع الذكر ،
– واحرص كل الحرص على أن تعظم من شأنه –

(١) فى الأصل – تخلط أجزاءه بنسب صحيحة كفعل الصيدلى .

من امرأة دنسة كهيرو .

دون جون : وأى دليل على هذا أقدمه ؟

بوراشيو : حسبك منه أن تضلل به الأمير .
وتغيظ به كلاوديو ، وتقضى على هيرو . وتقتل ليوناتو ،
فهل ترتقب شيئاً غير ذلك ؟

دون جون : لن أتردد فى أمر ما ،
إذا كان فيه شفاء موجدتى عليهم .

بوراشيو : اذهب إذن فالتمس لى وقتاً مناسباً ،
لجرّ دون بدرو والكونت كلوديو إلى خلوة بك ،
ونبّهما بأنك تعرف أن هيرو تحبنى .
وأظهر الغضب لأجلهما ،
غيرة منك على شرف أخيك الذى تولى الخطبة ،
وعلى سمعة صديقه الذى يوشك أن يخدع .
فى فتاة تساق إليه كأنها عذراء وما هى بعذراء .
وقل لهما إنك كشفت ذلك .
ولعلهما سوف لا يصدقانه بغير دليل ،
فأضرب لهما أمثلة . وأعرض عليهما بينات .
وليس منها ما هو أرجح
من رؤيتى تحت نافذة مخدعها .

وسماعك إياى وأنا أنادى مرجريت « هيرو » ومرجريت
تناديني « كلوديو » .
واطلب إليهما أن يتحققا من ذلك بنفسيهما
فى الليلة التى ستسبق الزفاف ،
لأننى فى الوقت ذاته سأدبر الأمر ،
حتى تغيب هيرو عن المخدع فى تلك اللحظة ،
لكى تتراءى خيانتها كأنها الحقيقة التى لا ريب فيها ،
ويبدو ما تهيؤه الغيرة كأنه يقين ويفسد كل استعداد تم .

دون جون : إننى لمنفذ ذلك فعلاً مهما يكن له من سيئ العواقب ،
فأحسن بالمكر تدبيره يكن جزاءك عنه ألف دوقية[1]

بوراشيو : وتمسك أنت بالاتهام ولا تتناقص ،
وأما أنا فلن يخذلنى مكرى .

دون جون : إنى ذاهب من فورى لأعرف موعد القران .

(يخرجان)

(١) عملة من الذهب أو الفضة تختلف قيمتها وقد أوردها شكسبير فى عدة روايات له ولم يجعلها شائعة فقط فى إيطاليا التى ضربت أصلا فيها بل فى الدانمرك أيضاً كما جاء فى «هاملت» «الليلة الثانية عشرة» التى وقعت حوادثها فى النمسا. بل فى آسيا الصغرى أيضاً كما فى مسرحية « كوميديا الأخطاء » .

المنظر الثالث

في حديقة بيت ليوناتو

يدخل بنيديك

بنيديك : يا غلام ! (يدخل غلام)

الغلام : سيدى السنيور ؟

بنيديك : على نافذة غرفتى تجد كتاباً ،
هاته لى هنا فى الحديقة .

الغلام : أنا هنا الآن يا سيدى .

بنيديك : أعرف ذلك ، ولكنى أريد
أن تذهب إلى هناك ثم تعود إلى هنا . (يخرج غلام)
إنى لنى عجب عاجب ،
أن أرى رجلاً بدت له حماقة سواه ،
وبالغ سخفه ، فى الاستسلام للحب ،
وطالما ضحك ساخراً من حمق الآخرين فيه .
كيف يستسلم هو له فيقيم من نفسه الحجة على حماقته ،
والدليل على استحقاقه لسخريته ،
ذلكم هو كلوديو ، فقد عرفته

لا يطرب إلا لقرع الطبول وصوت المزمار [١] ،
فإذا هو اليوم يؤثر عليهما سماع القربة والطنبور ،
وعرفته يقطع عشرة أميال سيراً على قدميه ليرى لأمة [٢] حسنة
فإذا هو اليوم يقضى عشر ليال
ساهراً يفكر فى زى صدار جديد
وكان فيما مضى الصريح الموجز ، يرمى إلى هدفه
شأن الرجل الأمين ، وديدن الجندى
فإذا هو يصبح الرجل المتعالم المتأنق [٣] فى حديثه
الحافل القول بأغرب أصنافه ، كأن حديثه المائدة المليئة
بأعجب ألوان الطعام وصحافه ،
فهل أرجو أن أتحول هكذا وأتبدل ،
وأشهد بعينى ما تشهده عيناه ؟ لا أدرى ! ولا أظن ،
وأحسب الحب سيحيلنى قوقعة أو يردنى حيواناً ،

---

(١) أى فى الحرب وهو جندى ولكنه اليوم يفضل أن يسمع موسيقى القرب والطنابير ، أى ألحان الحب وموسيقاه .

(٢) اللأمة هى الدرع وغيرها مما يلبس فى القتال ، ولكنه اليوم مولع بالتأنق وإظهار الرشاقة فعل أهل الصبابة والهوى ، وبهذا قس ما يلى عن لهجته وحديثه .

(٣) فى الأصل « أورتوجرافى » وبعض الرواة يحسبها أورتجراف أى المتشدد فى أصول الكلمات أو المدعى العلم بمتونها وتصريفها .

ولكنى أقسم أنه لن يجعلنى أبله مأفوناً ،
قبل أن يتم له تحويلى كذلك .
إن فى النساء الحسناء ، وأنا الخلى ،
والعاقلة ولكنى لست أرضاها ،
والفاضلة ، وقلبى من حبها خلاء ،
فلن تظفر منى بالرضى بنت حواء ،
حتى تجمع كل هذه الصفات ،
وتتوافر لها كل هذه الخلال .
لتكن ذات مال ، فهذا لا نزاع فيه ،
وأخت حكمة ، وإلا لما رضيتها ،
وفاضلة ، وإلا لما قبلت مساومة فيها ،
وحسناء ، وإلا لما نظرت إليها ،
ورقيقة ، وإلا لما دنت منى ،
ونبيلة[1] ، وإلا لما كنت حيالها ملاكاً ،
وحلوة الحديث صاحبة طرب بارعة ،

---

(١) أى صدفة أو سمكة أو أى حيوان والمعنى أن الحب لن يفعل به مثل ما فعل بكلوديو
٢– نبيلة هنا مؤنث « نبيل » وهو عملة تساوى ٦ شلنات و ٨ بنسات أى نحو نصف جنيه « وملاك » ليس اللفظ المفهوم لدينا ، ولكنه اسم عملة أخرى تساوى ١٠ شلنات والمعنى العام من كل هذه الأوصاف أن بنيديك يصور المرأة المثالية التى يرضاها وأنه لن يؤدى فى سبيلها جنيهاً مقابل نصف جنيه ولا يقبل هذه المساومة .

شعرها كما صنعه الله . .

ها . . ها هو ذا الأمير ، والسيد « الحب » [١] قادمان ،

فلأختبئ فى الخميلة . (يختبئ)

(يدخل دون بدرو وكلوديو وليوناتو)

دون بدرو : تعال بنا ألا تستمع لهذه الموسيقى ؟

كلوديو : بلى ، يا مولاى الكريم ، ما أسجى الليل !

كأنما قد سكت عن عمد، ليزيد اللحن حسناً وانسجاماً .

دون بدرو : أرأيت أين اختبأ بنيديك

كلوديو : ليكن يا مولاى ، أما والموسيقى قد انتهت ،

فليأذن للثعلب الصغير بهذه التافهة[٢]

(يدخل بلتازار والموسيقى)

دون بدرو : هلم يا بلتازار أسمعنا هذه الأغنية مرة أخرى .

بلتازار : أى مولاى الكريم ، لا تكلف صوتاً قبيحاً كصوتى ،

أن يسيء إلى الطرب أكثر من مرة[٢] ؛

دون بدرو : إن إنكار المرء لفضله ودعواه الجهل بأحسن ما فيه ،

---

(١) أى الحب – يعنى كلوديو وقد أولع شكسبير بتجسيم النعوت والمصادر كالسيدة لسان والسيدة إشاعة كما مر بك .

(٢) يقصد بالثعلب الصغير بنيديك .

(٣) الإساءة إلى الطرب – أى هذا الصوت القبيح الذى سيسيء إلى سمعة الفن .

لهما دائماً خير برهان على عظم شأنه ، وجلال قدره ،
فغنّ ولا تدعنى أكرر السؤال ، وأردد الخطبة [١]

بلتازار : سأغنى ما دمت قد تحدثت عن الخطبة ،
فكم من خطيب شرع فى خطبة فتاة
لا يحسبها خليقة به . ولكنه يمضى فى تشبيبه ،
ويقسم أنه الصب المستهام .

دون بدرو : أناشدك أن تغنى ،
أو إن أبيت إلا المضىّ فى المحاجة ،
فلتكن حججك أنغاماً .

بلتازار : ألق بالك إلى هذا قبل أن أنطلق بأنغامى ،
إذ ليس فيهن نغمة جديرة بالملاحظة .

دون بدرو : يا عجبا ، إن كلامه هذا « دندنة » فى ذاتها ونغمات
فهو لا يكف عن ذكر الأنغام ولا يقول شيئاً .

(يبدأ بلتازار النغم)

بنيديك : يا لجلال النغم وسحر الأوتار ،
هذه روحه قد بدأت تفتن ،
أليس عجيباً أن تكون لأمعاء الضأن ،

---

(١) أى أخطب صوتك وأطلب إليك أن تغنى ، وقد استخدم الخطبة فى هذا التعبير ليمهد الجواب التالى من المعنى .

القدرة على اجتذاب الأرواح من أعماق الأجسام (١)

* الأغنية *

بلتازار : أيتها الغيد اكففن عن التأوه والتنهيد ،
فديدن الرجال ، الخداع والضلال ،
قدمٌ لهم فى البحر ، وقدمٌ فى البر ،
ولا نبات عندهم إلى آخر الدهر .
حسبكن تحسرا وتنهيداً ، واتركنهم وشأنهم ،
وابتغين لهواً ومرحاً وانثنين عن أناشيد الحزن ،
إلى أغانى الأفراح ، والطرب .
حسبكن ترنما بالأناشيد النكدة الثقيلة ،
كذلك كان غدر الرجال من الأزل ،
منذ خلق الصيف مورقاً وارف الظل ،
وإذن تحسرا . . . إلخ . . .

دون بدرو : يمين الحق إنها لأغنية حسنة .

بلتازار : والمغنى ردىء يا مولاى .

دون بدرو : كلا . كلا ... يميناً إنك لتغنى
غناء حسناً ينتقل من نغمة إلى نغمة .

بنيديك : لو كان كلباً وعوى هذا العواء ، لشنقوه ،

(١) أمعاء الضأن هى الأوتار ، لأنها تصنع منها .

أرجو الله أن لا يكون صوته القبيح نذيراً بسوء ،
وودت لو أنى سمعت الغراب الأسحم ،
وإن جاء بالطاعون فى إثره يدهم .

دون بدرو : أتسمع يا بلتازار ؟
أرجوك أن تأتينا بموسيقى بديعة ،
لأننا نريدها مساء غد ،
تحت شرفة مخدع الحسناء هيرو ،

بلتازار : سآتى بخير ما أستطيع يا مولاى .

دون بدرو : افعل . . مع السلامة .

(يخرج بلتازار)

أقبل يا ليوناتو ، ما الذى نبأتنيه اليوم .
أقلت إن ابنة أخيك بياتريس تحب السنيور بنيديك؟

كلوديو : أى نعم . . لنتقدم بحذر . . إن الطائر جاثم مطمئن[1] ،
ما كنت أحسب يوماً أن هذه السيدة ستحب أحداً .

ليوناتو : ولا أنا — وأعجب العجب

---

(١) هذا اصطلاح فى القنص — يشير به شكسبير إلى حصان خشبى يختبئ خلفه الصائد فيتحرك الحصان به على مهل لكى يدنو من القنيصة وهى لا تشعر به . وقوله إن الطائر مستقر — وفى الأصل إن الدجاجة جالسة — يريد به أن الصائد حين يدرك أن الطائر غير فزع ولا يزال مطمئناً فى موضعه يروح يقول لنفسه هذه العبارة . والمفهوم أن بنيديك هو فى هذه الاستعارة الطائر المطمئن وهم الذين يحاولون صيده .

أن يشغفها السنيور بنيديك حباً ،
وهى تبدى له فى الظاهر أشد المقت .

بنيديك : أممكن هذا ؟ أتهب الريح من هذه الناحية ؟

ليوناتو : يمين الحق يا مولاى إنى لفى حيرة ،
لا أدرى كيف توليه هذا الحب الشديد .
إن هذا الأمر يتجاوز حدود المعقول .

دون بدرو : لعلها تتظاهر .

كليوديو : محتمل ، جائز .

ليوناتو : بالله ... تتظاهر ... ما أحسب فى الدنيا عاطفة مزيفة
هى أدنى إلى العاطفة الصحيحة مما تبديه

دون بدرو : وأى أعراض الحب هى كاشفة ؟

كليوديو : أصلح الطعم فى الشص ، فإن هذه السمكة ستقضمه .

ليوناتو : أتسألنى عن الأعراض يا مولاى ؟ إنها سوف تدهشك ،
ألم تنبئك ابنتى كيف كان ذلك ؟

كليوديو : لقد نبأتنى حتماً .

دون بدرو : كيف . . كيف . . أناشدكما ، فقد أدهشتمانى ،
لقد كنت أظن أن عواطفها مستعصية على هجمات
الحب وطعناته .

ليوناتو : لم أكن لأتردد يا مولاى فى القسم بذلك ،

وبخاصة نحو بنيديك بالذات .

بنيديك : كنت أحسبها خدعة ومكراً ،
لولا أن المحدث بهذا هو ذلك الشيخ الأشيب ،
والمكر لا يمكن أن يجتمع مع هذا الوقار الطاهر .

كلوديو : لقد وقع الصيد فى الفخ ، فلا تدعوه يفلت منه .

دون بدرو : وهل كاشفتْ بنيديك بحبها ؟

ليوناتو : كلا . وقد أقسمت أنها لن تفعل .
وهذه هى محنتها .

كلوديو : حقًّا إنها لكذلك . فقد حدثتنى ابنتك أنها قالت لها :
« أأنا التى طالما سخرت منه حين لقيته ، أكتب إليه بأنى أحبه ؟ »

ليوناتو : هذا هو ما تقوله الآن ،
حين بدأت تكتب إليه ، فهى تنهض عشرين مرة فى الليل ،
فتكتب وهى فى جلبابها ، حتى تملأ صفحة كاملة ،
لقد حدثتنا ابنتى عن هذا كله .

كلوديو : أما وقد ذكرت الصفحة « المليئة » ،
فلا أزال أذكر فكاهة مليحة قالتها لنا ابنتك .

ليوناتو : آه ، حين فرغت من كتابتها ، وقرأت الصفحة التى « ملأتها »

خيل إليها أن بنيديك و بياتريس فى الفراش فوق «ملاءتها»[1]

كلوديو : هذه هى النكتة بالذات

ليوناتو : لقد مزقت الكتاب إرباً :

وسخرت من نفسها كيف لم تستح أن تكتب مثله ،

إلى رجل تعرف أنه سوف يستهزئ بها .

وانثنت تقول ، إننى أقيسه

« بما كنت أنا فى مثل هذه الحال فاعلته »

فلو كتب إلى هكذا لسخرت منه ، وإن كنت أحبه .

كلوديو : ثم تخر راكعة على ركبتيها : باكية ، ناشجة .

تدق صدرها بكفها ، وتقتلع شعرها ،

وتضرع ، وتلعن ، وتنادى ،

أى بنيديك الجميل « اللهم ألهمنى الصبر » .

ليوناتو : هذا هو ما تفعله كما علمت من ابنتى ،

حتى لقد بلغ من فرط جنتها ،

وأثر النوبة العنيفة التى انتابتها ،

أن بدأت ابنتى تخشى

أن تلحق بنفسها أذى بليغاً فى أثناء نكبتها وهذا صحيح . .

---

(١) لعب شكسبير هنا بكلمة « الصفحة » لأنها تحتمل معنيين أولها الصفحة التى تكتب والآخر غطاء السرير أو الملاءة ومعنى النكتة أنها تخيلتهما نائمين فى فراش واحد .

دون بدرو : يحسن أن يعرف بنيديك هذا الأمر بأية وسيلة أخرى ،
ما دامت تأبى أن تكاشفه به

كلوديو : وما النتيجة ، فلسوف يتخذها هُزءاً ،
ويزيد فى تعذيب المسكينة طغياناً وبغياً .

دون بدرو : لو فعل . لكان من الخير أن نشنقه شنقاً .
إنها لفتاة حسناء حلوة . وفاضلة فوق كل شبهة .

كلوديو : وحكيمة إلى أبعد حدود الحكمة .

دون بدرو : هى كذلك إلا فى شىء واحد ، وهو حب بنيديك .

ليوناتو : إن الحكمة يا مولاى والعاطفة ،
تتنازعان وتضطرمان فى هذا البدن الغض ،
ولدينا الأدلة المتوافرة على أن العاطفة هى المنتصرة .
وإنى لها لمحزون ، ولى العذر ،
لأنى عمها وولى أمرها .

دون بدرو : ليتها وهبتنى أنا هذا الحب الجنونى ،
إذن لا طرحت كل اعتبار وجعلتها نصف نفس .
أرجوك أن تنبئ بنيديك وتعرف ما هو قائل .

ليوناتو : هل تظن أن فى ذلك نفعاً ؟

كلوديو : إن هيرو تظن أنها ستموت لا محالة ،

لأنها تقول إنها ستقضى إذا هو لم يحبها .
وستموت قبل أن تعلن حبها ،
وستفضل الموت إذا هو فاتحها
على الإقلال من مألوف سخريتها منه .

دون بدرو : تحسن صنعاً .
لأنه من الجائز إذا هي عرضت عليه حبها أن يسخر منه؛
لأن الرجل كما تعلمون جميعاً ذو نفس هازئة ساخرة .

كلوديو : إنه مثال الرجل المستقيم الفاضل .

بدرودون : إن له فى الحق مظهراً جميلا يستهوى النفوس .

كلوديو : وإنى لأشهد أمام الله أنه لرجل كريم .

دون بدرو : إنه لتبدو عليه فى الواقع مخايل الحكمة ،
وتنبثق منه شرارة ذات بريق يشبه الذكاء .

كلوديو : وأنا أعده شجاعاً باسلا .

ليوناتو : أؤكد لك أنه فى مثل شجاعة « هكتور »[1] وبسالته ،
أما فى تدبير الاشتباكات والمشاجرات ؛

---

(١) أكبر الأبطال فى حروب طروادة وكان زوجاً لأندروماك وفى هذه الحروب قتل بتروكلاس صديق أخيل ، فحنق عليه ، وتقدم من أسوار طروادة ، فهرب القوم جميعاً وثبت هكتور بادئ الأمر ولكن الخوف استولى عليه ففر وتبعه أخيل حتى تمكن من قتله . وقد أردف شكسبير يصف لماذا شبه بنيديك به فى تحاشى المعارك أو الإقدام عليها .

فلك أن تقول إنه الحكيم ،
لأنه إما أن يتحاشاها بفطنة بالغة ،
أو يتولاها بخشية أقرب ماتكون لهاخشية المسيحيين المؤمنين.

ليوناتو : إذا كان حقًّا يخشى الله .
كان حتماً الوديع المسالم ،
أما إذا هو لم يجنح إلى السلم ،
فلا مفر له من الدخول فى الشجار وجلا مرتجفاً .

دون بدرو : هذا هو ديدنه ، لأنه يخاف الله ،
وإن لم يبد ذلك عليه للنكات والأمازيح الجافة التى يرسلها.
إننى ليحزننى حظ ابنة أخيك .
أنذهب لنبحث عن بنيديك لكى ننبئه بحبها .

كلوديو : ينبغى أن لا تخبره بذلك يا مولاى ،
ولندعها تتغلب عليه بحسن تفكيرها .

ليوناتو : كلا . هذا غير جائز . فقد ينهك الصبرعليه فؤادها أولا.

دون بدرو : حسن ما قلت ، ولنسمع من ابنتك ما هى فاعلة بعد ،
ولندع الأمر فى سبيله حتى يهدأ قليلا ،
إننى أحب بنيديك حقًّا ،
وبودى لو يعود إلى نفسه فيبلوها ،
حتى يتبين إلى أى حد ،

هو غير خليق بسيدة طيبة مثلها .

ليوناتو : مولاى ، ألا تمضى ، إن العشاء قد أعد .

كلوديو : إذا هو لم يشغف بها حبًّا بعد هذا ،
فلن يصدق يوماً ظنى .

دون بدرو : لندع الشرك على هذا النحو منصوباً لها ،
وهذا هو ما نحن تاركوه لابنتك ووصيفتها تدبرانه ،
وستكون التسلية الممتعة حين يعرف كل منهما شغف صاحبه ،
بودى لو أرى هذا المشهد ،
إنه سيكون تمثيلاً بالإشارات لا بالكلام .
دعونا نوفدها لتدعوه إلى العشاء .

(يخرج دون بدرو وكلوديو وليوناتو)

بنيديك : (يتقدم من مخبئه) لا يمكن أن يكون هذا خدعة .
فقد كان الحديث جدًّا .
وقد عرفوا حقيقة الأمر من هيرو ،
ويبدو لى أنهم على الفتاة مشفقون .
والظاهر أن حبها بلغ نهاية المدى . . .
إنها تحبنى . . . يا لله !
لا معدى عن تبادل الحب والاستجابة له .
وقد سمعتهم يلوموننى وينتقدون مسلكى ،

ويقولون إننى سأروح المزهو المتكبر ،
إذا لمحت الحب من جانبها منبعثاً ،
ولقد قالوا أيضاً إنها لتؤثر الموت على إظهار حبها ؛
ولكنى لم أفكر يوماً فى الزواج .
ولا ينبغى لى أن أبدو صلفاً متكبراً ؛
إن السعداء من يسمعون معايبهم فيستطيعون إصلاحها ،
وهم قائلون إن السيدة حسناء ، وهذا صحيح ،
وإنى لشاهد لها بالحسن غير منكر ؛
وفاضلة ، وهذا حق لا أكذبه ؛
وأريبة عاقلة ، إلا فى حبى ،
ولكن يمين الحق إن حبها لى لا يزيد فى حكمتها ؛
ولا يضيف شيئاً إلى فطنتها ،
ولا هو بحجة بالغة على حماقتها ؛
لأننى سأتناهى فى حبها ، وأمعن فى الكلف بها ؛
ولعلى مستهدف لشىء من النكت وقليل من السخرية ؛
لأننى كثيراً ما سخرت من الزواج واستزريته ؛
ولكن ألا تتغير الشهوة إلى الطعام ، وتقبل أحياناً أو تنصرف .
فقد يحب الرجل أكل اللحم فى شبابه .

فإذا تقدمت به السن لم يعد يطيقه .
فهل ترى هذه النكت والأمثال ،
والفكاهات التي لا ضرر فيها ،
صارفة المرء عن سبيله ، عادلة به عن رغبته وهوى نفسه .
كلا . . يجب أن يعمر العالم بالناس ،
وحين قلت إنني أوثر أن « أموت » أعزب ،
لم أكن أدرى أنني « سأحيا » حتى أقترن . .
هاهي ذي بياتريس قادمة . .
وحق هذا النهار إنها لحسناء ،
وإني لألمح بعض إمارات الحب عليها .

(تدخل بياتريس)

بياتريس : أوفدت على كره منى لأدعوك إلى العشاء .

بنيديك : أشكرك أيتها الحسناء بياتريس على تجشمك هذا التعب .

بياتريس : لم أتكبد فى سبب شكرك لى تعباً ،
أكثر من تكبدك أنت فى شكرى .
ولو كان فى مجيئى إليك تعب لما جئت .

بنيديك : هل سرتك إذن الوفادة إلىّ ؟

بياتريس : أجل ، كسرورك من تناولك مدية وخز غراب بسنانها . .
ألا رغبة لك فى الطعام يا سنيور . .؟ طاب يومك (تخرج)

بنيديك : ها . . . ! « لقد أوفدت إليك على كره لأدعوك إلى الطعام » ،
إن هذا القول منها يحمل معنيين .
ثم قولها لم أتكبد فى سبب شكرك لى
تعباً أكثر مما تتكبده أنت لشكرى ،
يعنى أن أى تعب أتكبده فى سبيلك لسهل هين كالشكر . . .
وإذا أنا لم أشفق عليها ، كنت وغداً دنيئاً ،
وإذا أنا لم أحبها كنت يهودياً . .
فلأذهب لأظفر بصورتها .

(يخرج)

الفصل الثالث

المنظر الأول

في حديقة ليوناتو

تدخل هيرو ومرجريت وأورسولا

هيرو : أسرعي يا مرجريت إلى الردهة ،
تجدى ابنة عمى بياتريس ،
تتحدث مع الأمير وكلوديو ، فاهمسى فى أذنها
أننى أنا وأورسولا نتمشى الساعة فى الحديقة ،
وإن حديثنا كله يدور حولها ،
وقولى إنك استرقت السمع علينا ،
واطلبى إليها أن تتسلل إلى الدغلة الظليلة المشذبة ،
حيث أنضجت الشمس أعواد العلندا ،
فمنعتها من النفاذ فيها ، كمثل أهل الحظوة عند الأمراء ،
يتكبرون على السلطان الذى اصطنعهم ،
ويزهون على الصولة التى أنشأتهم ؛
ونبئيها أنه يحسن بها أن تختبئ عن كثب ،

لتنصت إلى حديثنا ، وتتسمع علينا .
هذه هي مهمتك ، فأحسني تأديتها ودعينا وحدنا .

مرجريت : أؤكد أني سآتي بها في الحال . (تخرج)

هيرو : والآن يا أورسولا اسمعي :
لنجعل حديثنا إذا جاءت بياتريس ،
ونحن نقطع هذا الدرب ذهاباً وجيئة ،
منصرفاً بجملته إلى الكلام على بنيديك .
فإذا ما ذكرت اسمه ،
فليكن قولك مديحاً فيه ، وثناء عليه ،
أطيب مما ظفر امرؤ يوماً بمثله ،
وسأحدثك أنا عن مدى صبابته ببياتريس ، وفرط جواه ،
فكذلك نصطنع سهام كيوبيد الصغير ونباله المصمية ،
تجرح بالسماع وتدمى بالرواية[١] .

(تدخل بياتريس من خلفهما)

والآن فلنبدأ الكلام فها هي ذي بياتريس قادمة
تتسلل كالزقزاق[٢] ،

---

(١) أي أن الحب كثيراً ما يأتي بالسماع . كقول بشار : والأذن تعشق قبل العين أحياناً .
(٢) من عادة هذا الطائر أن يصرخ كلما طار ليبعد الصائد عن صغاره ، وهو يتوثب وهنا تعليل جميل لطيرانه قريباً من الأرض كاستعارة لتسلل بياتريس .

يتوثب قريباً من الأرض ،
لكي تنصت إلى حديثنا .

أورسولا : إن أكثر ما فى الصيد من متعة،
أن يشهد الصائد السمكة ،
تمرق بزعانفها الذهبية تحت أمواه الجدول الفضىّ،
وتقبل منهومة على الطعم الغدّار لتأكله ،
وما مثلنا حيال بياتريس إلا كمثل هذا الصائد المترقب ،
وهى الآن منزوية بين أعواد العلندا مختبئة ،
فلا تخشى من ناحية دورى فى الحوار الذى سيجرى بيننا.

هيرو : لنقترب إذن منها ، حتى لا يفوت أذنها شىء
من هذا الطعم الخادع الحلو الذى ندسه لها ،

(تقتربان من الدغلة)

كلا ، والله يا أورسولا ،
إنها لمفرطة فى الترفع والكبرياء ،
وأعرف عنها شدة الحياء .
وإنها لنافرة كالصقور البرية والرخم .

أورسولا : ولكن أواثقة أنت أن بنيديك يحب بياتريس من كل قلبه ؟

هيرو : هكذا يقول الأمير وقرينى الجديد .

أورسولا : وهل طلبا إليك يا مولاتى أن تنبئها به .

م - ١

هيرو : لقد ناشدانى أن أكاشفها به ،
ولكنى رجوتهما إن كانا يحبان بنيديك حقاً،
أن ينصحا له بمغالبة حبه،
فلا يدع بياتريس تعرف عنه شيئاً .

أورسولا : ولماذا فعلت ذلك . أليس هذا الرجل الكريم
خليقاً ببياتريس زوجاً وشريك فراش ؟

هيرو : يا إله الحب ، إنى لأعرف أنه خليق
بكل ما يجدر برجل أن يوهبه ،
ولكن الله لم يخلق قلباً أشد زهواً من قلب بياتريس .
إن الترفع والسخرية يتلألآن فى عينيها،
فتستصغران شأن كل ما تقعان عليه .
وهى تبالغ فى تقدير قوة ذكائها
حتى ليبدو كل ما عداه ضعيفاً .
إنها لا يمكن أن تحب،
ولا تطيق التفكير فى الحب أو تصوره ،
إنها محبة لذاتها ، مفرطة فى أثرتها .

أورسولا : حقاً إنى لأراها كذلك .
ولهذا يحسن بلا شك
ألا تعرف شيئاً عن حبه لئلا تعبث به .

هيرو : الحق ما قلت ، فما رأيت فى حياتى رجلا ،
حكيما نبيلا فتيًّا ، نادر الوسامة ، حلو القسمات ،
إلا أساءت وصفه ، وعكست عليه مزاياه ،
فإن كان أبيض الوجه ،
أقسمت أنه كان خليقاً به أن يكون أختها .
وإن كان أسمر قالت إن الطبيعة أرادت ،
أن ترسم صورة مهرج مهذار .
فسكبت قطرة من المداد فكان تلك القطرة .
وإن كان طويلا فهو الرمح الردىء الرأس .
وإن كان قصيراً فهو عندها فص من عقيق ،
لم يُتقن قَطْعه ولم يُهذّب تركيبه .
وإن كان متحدثاً ، فهو فى نظرها دوارة تدور مع الرياح .
وإن كان صموتاً ، فصخرة لا يحركها شىء ،
وكذلك هى ،
تُقلّب كل رجل إلى ضده ، وتحيله إلى نقيضه ،
ولا تعطى الحق والفضل يوماً
نصيبهما من البساطة والاستحقاق .

أورسولا : حقًّا . حقًّا . إن هذا البحث عن المثالب ليس مستحبًّا.

هيرو : إن كل شذوذ وخروج عن المألوف ،

كدأب بياتريس ، هيهات أن يُستَحبّ ،
ولكن منذا الذى يجسر أن يقول هذا لها ؟
فلو تكلمتُ ، لسخرت منى وهزأت ،
بل لأضحكتنى من نفسى ،
وأثقلت كاهلى بعبء فكاهتها حتى ألفظ الأنفاس[١] ،
فليبق بنيديك كالنار المغطاة ،
وليحترق زفرات ، ولتذهب نفسه حسرات .
فإن الموت على هذا النحو خير
من الموت من وخزات الاستهزاء .
وما أشبهه بالموت من الغمز والتخميش .

أورسولا : ومع ذلك فلتتحدثى فى هذا إليها ، ولتسمعى ما تقول .

هيرو : كلا . إنى لأوثر أن أذهب إلى بنيديك ،
وأنصح له أن يغالب صبابته ، ويصارع جواه .
وفى الحق إننى سأختلق أكاذيب لا بأس منها
لألصقها بابنة عمى ؛

(١) إشارة إلى عقوبة قديمة فى القانون كان يحكم بها على الذين يرفضون الدفاع عن أنفسهم حيال التهم التى توجه إليهم . وهى وضع أثقال كبيرة على معدة السجين وصدره وهو منبطح على ظهره . وكلما رفض الكلام زادوا الأثقال عدداً حتى يعترف أو يموت من تأثير الضغط سحقاً وقد ألغيت هذه العقوبة فى عام ١٧٧٢ .

فمن يدرى كم من كلمة سوآى سممت حبًّا ،
وأفسدت عاطفة .

أورسولا : لا تسيئى إلى ابنة عمك هكذا .
فما أحسبها متجردة من صحة الحكم والتقدير إلى هذا الحد ،
وهى الفَطنة الحاضرة البديهة الذكية ،
والرضى بسيد مهذب نادر المثال كالسنيور بنيديك ،
أحجى وأولى من رفضه .

هيرو : إنه الرجل الأوحد فى إيطاليا ،
إذا استثنينا عزيزى كلوديو بطبيعة الحال .

أورسولا : أناشدك يا مولاتى أن لا تغضبى منى
إذا صارحتك برأيى . إن السنيور بنيديك
لأعظم الناس شهرة ،
بحسن الصورة والسمت ورجحان العقل والشجاعة،
فى طول إيطاليا وعرضها .

هيرو : حقًّا . إن له شهرة عظيمة واسعة .

أورسولا : لقد أكسبته شمائله هذه الشهرة قبل أن ينالها
ومتى يتم قرانك يا مولاتى ؟

هيرو : كل يوم ، ما دام سيتم غدا[١] . هلمى ندخل .

---

(١) أى ما دمت سأقترن غداً ، فسأكون زوجاً كل يوم بعد غد حين يأتى الغد .

لأريك بعض الثياب .
وأستنصحك أيها أحسن لتوافيني به غداً .

أورسولا : لقد وقعت فى دبق الفخ .
أؤكد لك يا مولاتى أننا قد أوقعناها فى الشرك .

هيرو : إذا صح ما تقولين ،
صح أيضاً أن الحب قد يأتى مصادفة واتفاقاً ،
وأن بعض الناس يصرعهم كيوبيد بالسهام ،
وبعضهم يوقعهم فى الفخاخ .

(تدخل هيرو وأورسولا)

بياتريس : (تتقدم) ما هذه النار التى تحرق أذنى . . .
أحق هذا الذى سمعته[1] ،
أكذا أرى بالإفراط فى الكبرياء ، والسخرية إلى هذا الحد ،
فاليوم وداعاً أيتها السخرية ،
وعفاء عليك يا حياء « العذارى » ،
فلا حياة للمجد وراء ظهرك ،
ويا بنيديك امض فى حبك فإنى لمنصفتك ،
ومروضة قلبى النافر على لمس راحتك الحانية ،

---

(١) مثل قديم كان العامة يتمثلون به ، وهو قولهم إنك إذا أحسست بحكة فى أذنك فمعناه أن هناك إنساناً يتحدث عنك والعوام عندنا يظنون القرآن كذلك .

فإن كنت تحب فإن حنانى سيدفعك
إلى ربط حياتنا برباط مقدس ،
لأن الناس يقولون إنه بالحب جدير ،
وأنا أعرف به من القائلين .

المنظر الثانى

غرفة فى دار ليوناتو

يدخل دون بدرو وكلوديو وبنيديك وليوناتو

دون بدرو : لن أقيم هنا إلا ريثما يتم زواجك ثم أذهب إلى أرجون .

كلوديو : سأرافقك إليها يا مولاى ، إذا سمحت .

دون بدرو : كلا . لو فعلت لكان ذلك أشبه شيء ،
بلطخة فى صفحة زواجك الناصعة الجديدة ،
كمن يرى الطفل رداءه الجديد ثم يمنعه من ارتدائه ،
ولن أجرؤ إلا على اصطحاب بنيديك لأنه من قمة رأسه
إلى أخمص قدميه ملىء مرحاً ، مفعم فكاهة ،
وقد قطع مرتين أو ثلاث مرات لكيوبيد وتر قوسه .

فلم يجرؤ هذا الجلاد الصغير[١] على إطلاق السهام عليه
وإن له لقلباً سليما كالناقوس رنيناً ،
ولسانه هو مدقه[٢] كلما خطر للقلب خاطر ،
كان لسانه عنه المعبر .

بنيديك : سادتى البواسل ، لم أعد المرح الذى كنته .

ليوناتو : هذا ما قلته ، يلوح لى أنك مكتئب .

كلوديو : لعله عاشق .

دون بدرو : لا تعلق هذا الوهم به ، ولا يشرد بك الفكر فيه ،
فليس فيه نقطة صادقة من الدم يمكن أن يمسها الحب حقًّا .
فإن كان مكتئباً فهو فى حاجة إلى المال .

بنيديك : بل هو وجع ضرس ،

دون بدرو : اقلعه .

بنيديك : ألا سحقاً له .

كلوديو : أربطه بالخيط ثم اجذبه .

دون بدرو : لك الله ! أتزفر من وجع ضرس ؟

ليوناتو : حيث لا يوجد إلا بعض الصديد أو السوس ،

بنيديك : فى وسع كل إنسان أن يتغلب على الألم إلا من يعانيه .

---

(١) كذلك كان يوصف كيوبيد إله العشق .

(٢) المدق هو مقبض الناقوس .

كلوديو : ولا زلت أقول إنه عاشق .

دون بدرو : لا أثر فيه لهوى ،
إلا أن يكون نزوعاً إلى غريب تنكر ،
كان يبدو اليوم هولنديًّا ، وغداً فرنسيًّا ،
أو فى زى رجلين من أمتين فى آن واحد ،
كألمانى مثلا ، من الخاصرة فما دون سراويل فضفاضة ،
وكأسبانى ، من العجز فما فوق ، بغير صدار ،
فإذا لم يكن له هذا الهوى الذى ينازعه إلى هذه الحماقة ،
— ويبدو أن له هذا الهوى —
فليس هو من الحمق بحيث ينزع إلى الخيال ،
كما تريد أن تظنه كذلك .

كلوديو : إذا لم يكن قد وقع فى حب امرأة ،
فلا خير إذن فى تصديق الإمارات .
لقد راح ينفض بالفرشاة قبعته كل صباح ،
فماذا ترى ذلك منبئاً به ؟

دون بدرو : هل بصرَ به أحد عند الحلاق ؟

كلوديو : كلا . ولكن صبى الحلاق رُؤى عنده .
وأمسى ما كان حلية لخده ،

حشوا للكرات التى يتقاذفها اللاعبون [١] .

ليوناتو : حقًّا . إنه ليلوح اليوم أصغرَ سنًّا ،
منه فيما مضى بعد زوال لحيته .

دون بدرو : إنه ليتضمّخ بالمسك . . . ألم تعرفوه بطيبه قبل أن يقترب ؟

كلوديو ومعنى هذا بعبارة أخرى أن هذا الفتى الظريف البديع عاشق .

دون بدرو : إن الكآبة أكبر سمات هذا الحب .

كلوديو : ومتى رأيتموه قد اعتاد غسل وجهه ؟

دون بدرو : أى نعم ، بل متى كان يتزيّن ويتجمل ؟
وهذا ما أسمع الناس يقولون عنه .

كلوديو : ولكن روحه الماجنة قد تسللت الآن
إلى أوتار عود تتحكم فيه المفاتيح [٢] .

دون بدرو : الواقع أن فى هذا دليلا قويًّا ، نستنتج منه أنه يحب .

كلوديو : نعم . وأنا أعرف من التى تحبه .

دون بدرو : وأنا أيضاً أريد أن أعرفها . وأؤكد لك أنها فتاة تجهله .

كلوديو : أجل ولا تدرى عن سوء حاله شيئاً . وإن كانت مع ذلك
تموت من فرط حبها إياه .

---

(١) أى أصبح يحلق لحيته وهى حلية الخد ، وأصبح الشعر المحلوق تحشى به الكرات .

(٢) استعارة من الموسيقى يشير فيها الشاعر إلى المفاتيح المقامة فى مقبض العود يعمد إليها الموسيقار فيحكم ضبطها حين يشاء إصلاح الاوتار وضبط الأنغام . أى أصبح قليل التنكيت ولم يكن هذا شأنه من قبل .

دون بدرو : ستدفن وجهها إلى أعلى[١] .

بنيديك : وبعد فليس هذا « بُرقْيـَة » من وجع الأسنان . .
أيها الشيخ ، هلا انتحينا ناحية ؟
فقد أعددت ثمانى كلمات أو تسعاً أريد أن أقولها لك ،
حتى لا يسمعها هذان السخيفان .
(يخرج بنيديك وليوناتو)

دون بدرو : إنى لشديد الرغبة فى أن أنقل إليه حب بياتريس له .

كلوديو : إن الأمر لكذلك، وقد أدّت هيرو ومرجريت[٢] دورهما معها ،
ولهذا لن يعض الدُّبان بعضهما بعضاً حين يلتقيان[٣]
(يدخل دون جون)

دون جون : سلمت يا مولاى وأخى .

دون بدرو : نَعِمتَ مساء يا أخى .

دون جون : أريد أن أتحدث إليك إذا سمح بذلك وقتك .

دون بدرو : حديثاً خاصًّا . . . ؟

دون جون : إذا تفضلت ، ولا بأس من أن يسمع الكونت كلوديو لأن

---

(١) هذه العبارة ليست واضحة لأن الموتى جميعاً يدفنون هكذا . ولكن شكسبير افترض أننا لا نعرف . وقال المفسرون إنه قد يقصد « وكعباها إلى أعلى » .

(٢) المقصود « أورسولا » لا مرجريت كما مر .

(٣) أى لن يهاجم أحدهما صاحبه عند التقائهما . والعرب تقول ينتطح فى الأمر عنزان .

الكلام الذى سأقوله يعنيه .

دون بدرو : ما خطبك ؟

دون جون : (مخاطباً كلوديو) هل تنتوى يا مولاى القران غداً ؟

دون بدرو : وأنت تعرف أنه ينتويه .

دون جون : لا أعرف ذلك ، حين يعرف ما أنا عارف .

كلوديو : إن كان ثمة حائل ، ناشدتك أن تكشف عنه .

دون جون : لقد تحسب أنى لا أحبك ، فلندع هذا إلى ما بعد ،
وحاول أن تحسن الظن بما أنا الساعة كاشفه ،
أما أخى فهو يؤثرك ، وقد ساعد عطفاً منه ،
وإعزازاً فى تحقيق قرانك الذى حان موعده واقترب ،
وما من شك فى أنه قد أخطأ فى هذه الوساطة ،
وبئس الجهد المبذول فيها .

دون بدرو : ماذا تقول ، وما الخطب . . ؟

دون جون : لقد جئت لكى أنبئك باختصار ،
لأن الحديث طويل ، أن هذه الفتاة غير وفية .

كلوديو : من . . . هيرو . . . ؟

دون جون : نعم . هى . هيرو ابنة ليوناتو ،
هيرو صاحبتك ، وصاحبة كل رجل .

كلوديو : أغير وفية هى ؟

دون جون : إن هذا اللفظ لأجمل من أن يصور مبلغ شرها ،
بل أستطيع أن أقول إنها أدهى من ذلك وأمر .
فهل عندك وصف أسوأ لكى أنعتها به؟
ولكن لا تعجب حتى يأتيك الدليل،
وما عليك إلا أن تصاحبنى الليلة فترى
رجلا يدخل خدرها من النافذة .
فى هذه الليلة التى تسبق يوم زفافها ،
فإن كنت مع ذلك تحبها فابن غداً بها
ولكن من الخير لحفاظك وشرفك أن تعدل عنها .

كلوديو : أيمكن أن يكون هذا صحيحاً . .؟

دون بدرو : لا أظن .

دون جون : إن لم تستطع أن تصدق ما تراه بعينيك فلا تقر بما تعرف ،
وسأريك ما فيه الكفاية إن اتبعتنى ،
وبعد أن تبصر وتسمع أكثر مما أبصرت وسمعت ،
تصرف على ضوئه وافعل وفق مقتضاه.

كلوديو : إذا أنا رأيت شيئاً الليلة ، فلست بمقترن بها غداً ،
وفى الاجتماع الذى سيعقد ، سأخزيها وأكشف عن عارها .

دون بدرو : وسأشاركك فى كشف شنارها ،
ما دمت أنا الذى سعيت فى الظفر لك بها .

دون جون : لن أنتقصها أكثر من هذا ، حتى تكونا شاهدين ، فاصبر إلى منتصف الليل ، ودع الأمور تجرى فى أعنتها .

دون بدرو : يا له من يوم انقلب نحساً .

كلوديو : يا لها من مصيبة تخنق الأنفاس .

دون جون : ستقول حين ترى البقية يا له من شر مستطير عرفنا كيف نحول دونه قبل مداهمته .

(يخرجون)

المنظر الثالث

طريق عام

يدخل دوجبرى[1] ، وفارجس[2] ، مع جمع من الحراس

دوجبرى : هل أنتم إخوان خير وصدق ؟

فارجس : أجل ، وإلا كان مما يؤسف له أن حقت عليهم النقمة ، والعذاب بدناً وروحاً[3]

---

(١) هذا الاسم مركب من كلمتين « دوج » أى كلب و « برى » أى توت وهو نبات كالعليق ينمو فوق السياج وأسوار الحدائق والدور .

(٢) هذا الاسم تحريف لكلمة « فرجوس » أو فارجز اسم بخيل ومراب قديم وقد اختار الشاعر هذين الاسمين المضحكين ليتناسبا مع الحوار التالى .

(٣) يريد النقمة .

دوجبرى : نعم وهذا عقاب قليل عليهم ،
إذا كانت لديهم ذرة من الوفاء ،
وقد وقع الاختيار عليهم للسهر والرقابة طوعاً للأمير .
فارجس : عين لهم يا جارنا دوجبرى العمل المطلوب منهم .
دوجبرى : أولاً من الذى تظنه أبعد من أن يكون جديراً
برتبة ضابط صف[1] .
الحارس ١ : هيو أوتكيك[2] يا سيدى أو جورج سيكول لأنهما يقرآن
ويكتبان .
دوجبرى : أقبل يا جارنا سيكول ، لقد أنعم الله عليك باسم حسن ،
ان حسن المظهر حبوة القدر ،
ولكن معرفة القراءة والكتابة تؤتيها الطبيعة .
الحارس ٢ : وكلاهما يا معلم . . .
دوجبرى : (مقاطعاً) إنهما لك ،
لقد كنت أعرف أن هذا سيكون جوابك ،
أما عن حسن مظهرك يا سيد فاحمد الله ولا تفخر به ،
وأما علمك با لقراءة والكتابة فلا تظهره
إلا عندما لا تكون ،

(١) كونستابل .
(٢) أوتكيك مركب مزجى من « أ و ت » و «كيك» والأولى هو الدخن وكيك أى الفطير أما سيكول فهو أيضاً مركب من سى أى البحر وكول أى الفحم وأكبر الظن أنهما من الباعة أو التجار لأنهما يعرفان القراءة والكتابة .

ثمة حاجة إلى هذه المفخرة [١] ،
إن الرأى المجمع عليه هنا أنك أقل الناس
عقلا وجدارة [٢] لرياسة الحرس .
فلتمسك أنت إذن بالمصباح [٣] فهذه هى مهمتك لتركب
السافلة [٤] ،
وتأمر كل عابر بالوقوف باسم الأمير .

الحارس ٢ : وإذا لم يقف ؟

دوجبرى : لا تأبه به ودعه ينطلق ،
وناد فى الحال بقية الحرس ،
واحمد الله على أنك قد تخلصت من وغد أثيم .

فارجس : إذا لم يقف حين يؤمر فهو ليس من رعايا الأمير .

دوجبرى : هذا صحيح ، ولا دخل للحراس بأحد غير رعاياه ،
وينبغى كذلك ألا تحدثوا فى الطرق ضجيجاً ،
لأن ثرثرة الحرس وحديثهم أكثر
مما يحتمله الإنسان ولا يطيقه [٥] .

---

(١) يريد حين يكون ثمة حاجة إلى هذه المقدرة .
(٢) يريد أنك أكثر الناس عقلا وأجدرهم برئاسة الحرس .
(٣) الذى يمسك به الحارس .
(٤) يريد لترقب السابلة .
(٥) يريد ما لا يحتمله .

حارس : إذا لنؤثر النوم على الكلام ، ونحن أعرف الناس بما ينبغى للحراس وما لا ينبغى .

دوجبرى : مرحى . إنك لتقول قالة شيخ
مجرب خبير هو أكثر الناس هدوءاً ،
فأنا لست أدرى كيف يكون النوم ذنباً ، وإنما عليك أن تحترس حتى لا يسرق منك سلاحك[1] .
والمطلوب منك أن تطوف بكل الحانات وتأمر السكارى بالذهاب إلى الفراش .

حارس : وإذا هم أبوا .

دوجبرى : دعهم وشأنهم حتى يفيقوا ،
وإذا لم تجد منهم عندئذ جواباً أفضل مما أجابوا به أول مرة ،
فلك أن تقول إنهم ليسوا كما كنت تحسبهم من قبل .

حارس : حسن يا سيدى .

دوجبرى : وإذا لقيت لصاً أدركت بحكم وظيفتك
أنه ليس امرأً شريفاً ،
فكلما أقللت من التدخل فى شئون هذا الصنف من الناس ،
كان ذلك أسلم لشرفك .

حارس : وإذا عرفنا أنه لص أفلا نلقى القبض عليه ؟

(١) فى الأصل « البلطة » وهو السلاح الذى كان يحمله الشرطة فى تلك الأيام .

دوجبرى : لك أن تفعل بحكم وظيفتك .
ولكنى أحسب أن من يلمس القار يلوث يديه ،
وأسلم سبيل لك إذا وقعت على سارق ،
أن تدعه يثبت لك من أى صنف من الناس هو
فيسترق الخطى ويفارقك .
فارجس : لطالما قيل عنك أيها الزميل إنك رجل رفيق رحيم .
دوجبرى : فى الحق لست أرضى أن أشنق كلباً بإرادتى ،
وأنا أكثر[1] من ذلك رغبة فى أن أفعل ذلك
برجل أوتى ذرة من الشرف .
فارجس : إذا سمعت وليداً يصرخ فى الليل فادع المربية
واطلب إليها أن تسكته .
حارس : وما العمل إذا كانت المربية نائمة فلا تسمعنا ؟
دوجبرى : إذن فانصرف بسلام ودع الوليد يوقظها بصراخه،
لأن النعجة التى لا تسمع الحمل حين يرغو ،
لن تستجيب للعجل حين يخور .
فارجس : هذا صحيح لا فرية فيه .
دوجبرى : هذه هى كل المهمة ،
وأنت يا ضابط الصف ،

(١) يريد أقل من ذلك رغبة .

فلتعلم أنك تماثل[1] فى شخصك الأمير —
فإن لقيته ليلا فلك أن توقفه .

فارجس : يا الله ، هذا ما لا قبلَ لى به .

دوجبرى : إننى أراهن أى إنسان يعرف القوانين
بخمسة شلنات لقاء شلن واحد ،
إن له أن يوقفه ، إذا رضى الأمير الوقوف طواعية ،
لأنه ليس للحارس فى الواقع أن يسىء إلى أحد ،
ومن المساءة أن يوقف المرء أحداً رغم إرادته .

فارجس : قسما . إن هذا هو الرأى الذى أراه .

دوجبرى : ها . ها . ها . والآن يا سادة طاب ليلكم ،
وإن طرأ عليكم أمر ذو بال فادعونى ،
وأمركم شورى بينكم ، وعمتم مساء ، هلم بنا أيها الجار !

حارس : والآن أيها السادة لقد سمعنا الأوامر
فهلموا بنا نقصد دكة الكنيسة إلى الساعة الثانية ،
ثم نذهب جميعاً إلى الفراش .

دوجبرى : كلمة أخرى أيها الجيران الأخيار .
أرجو إليكم أن ترقبوا باب دار السنيور ليوناتو ؛
فإن العرس سيقام فيه غداً وستكثر فيه الحركة الليلة .

(١) يريد تمثل .

م – ٣

إلى اللقاء . وافتحوا أعينكم أناشدكم الله .

(يخرج دوجبرى وفارجس ويدخل بوراشيو وكونراد)

بوراشيو : كونراد ! ألا تسمع ؟

حارس : (فى ناحية) سكوتا . . . ولا تتحركوا !

بوراشيو : كونراد ، إننى أناديك .

كونراد : هأنذا يا رجل ، عند مرفقك .

بوراشيو : وعشاء الرب[1] لقد أحسست فيه حكة [2] فظننت أنها سيعقبها جرب .

كونراد : سوف أحاسبك على هذا القول . . . والآن علىّ بقصتك . .

بوراشيو : اقترب ، ولنقف تحت هذه السقيفة لنحتمى من الرذاذ : وسأحدثك بكل ما عندى فعلَ السكارى إذا حلت الخمر عقدة ألسنتهم[3] .

حارس : (فى ناحية) جناية أيها السادة تدانوا .

بوراشيو : ألا فاعلم أننى ظفرت من دون جون بألف دوقية .

كونراد : أيمكن أن يكون ثمة إثم يبتاع بهذا الثمن كله ؟

---

(١) قسم عند العامة ، والعشاء هنا هو العشاء الربانى عند المسيحيين .

(٢) من أمثال العامة ، أحس حكة فى كوعى يقال للتطير كما نظن نحن أن العين التى تختلج قد تمهد أو تنذر .

(٣) كما يفعل الثمل إذ يبوح بكل ما فى نفسه . والإشارة هنا إلى اسم بوراشيو — فهو مشتق من كلمة « بوراشا » فى الأسبانية ومعناها الزق » و بوراشيو » معناها السكران .

بوراشيو : أولى بك أن تسأل هل يمكن
أن يكون الإثم غنياً إلى هذا الحد ؟
لأنه حين يحتاج الأشرار الأغنياء إلى عون الأشرار الفقراء .
يحق لهؤلاء أن يعينوا الثمن الذى يطلبون .

كونراد : إنى لفى عجب من هذا .

بوراشيو : إن هذا العجب منك ليدل على أنك لا تزال قليل التجربة ،
ولا أحسبك تجهل أن زى صدار أوقبعة أو قباء أمر
لا يهم المرء ولا يعنيه .

كونراد : نعم . . . إنه ملبس فحسب .

بوراشيو : إننى أعنى الزى .

كونراد : أى نعم . الزى هو الزى .

بوراشيو : هراء ! إن هذا القول لهو بمثابة قولك إن الأحمق هو
الأحمق .
ولكن ألا ترى إلى أى حد يبدو الزى لصاً مشوهاً[١]

حارس : (فى ناحية) أعرف المشوه هذا ،
لقد كان لصاً لئيماً خلال السنوات السبع الماضية ،
وإن كان يروح ويغدو كأنه السيد المهذب
إننى أتذكر اسمه .

---

(١) أى قبيحاً ولم يعرف الحارس هذه الكلمة فظنه اسم علم لأحد السراق .

بوراشيو : ألم تسمع صوت أحد ؟

كونراد : كلا . إنه صوت الدوّارة القائمة فوق سطح البيت .

بوراشيو : قلت لك ألا ترى إلى أى حد يبدو الزى لصاً مشوهاً ؟
وكيف يستلب ألباب الشباب ، ويذهل إخوان الدم الحار .
الذين تتراوح أسنانهم بين الرابعة عشرة والخامسة والثلاثين ،
حتى ليجعلهم تارة يتراءون فى ثياب جنود فرعون
فى رسومهم القاتمة[1] . وتارة أخرى فى أردية كهنة
بعل[2] .
كما يبدون فى الرسوم التى تزدان بها نوافذ المعابد ،
وحيناً فى زى هرقل الحليق كما هو مصور على أدم الأسفار
القذرة التى أكلها العث .
فى سراويل فضفاضة تشبه فى حجمها عصاه[3] .

كونراد : كل ذلك أراه . وأرى أيضاً كيف يبلى الزى من الثياب
أكثر مما يبليه الإنسان[4] ،

---

(١) هى صورة وجدت على أستار من قماش تصور حياة سيدنا يوسف أو موسى عليه السلام . ومأخوذة من التوراة ويبدو فيها الجنود المصريون . وقد رأينا شكسبير يصف تلك الرسوم بأنها مدخنة أو علاها الصناج فآثرنا أن نعبر عنها بقولنا « القاتمة » .

(٢) بعل البابليين وكان له كهنة .

(٣) إشارة إلى الصورة التى يبدو فيها هرقل حليقاً حين كان فى خدمة أومفال يؤدى أعمال النساء . وهذه الصور مرسومة على أستار تناولها البلى وأكلها العث .

(٤) أى أن الأزياء سرعان ما تتغير وكثيراً ما تلغى ثياباً قبل أوان البلى .

ولكن ألست أنت نفسك قد أذهلك الزى
كذلك وأطار لبك ، حتى خرجت من القصة
التى ستنبئنى بها إلى حديث الزى ؟

بوراشيو : ليس الأمر كذلك . ولكن اعلم أننى الليلة قد أغويت
مرجريت وصيفة هيرو ،
وناشدتها باسم مولاتنا أن تطل على من شرفة مخدع سيدتها ،
وتقرئنى ألف تحية وسلام . ولكنى لم أحسن بداية الخبر .
وكان أولى بى أن أقص عليك أولاً
كيف شهد الأمير وكلوديو ومولاى من مكان قصى فى الحديقة
هذا اللقاء المحبب بإيعاز دون جون وتأثيره
وحملهما على الترصد فى ذلك الموضع .

كونراد : وهل ظنوا أن مرجريت هى هيرو ؟

بوراشيو : اثنان منهما حسباها كذلك . وهما الأمير وكلوديو .
ولكن مولاى الشيطان كان يعلم أنها مرجريت .
وهو الذى تمكن بأيمانه المغلظة من أن يستأثر بلبهما .
وأعانه الليل البهيم كذلك على التغرير بهما .
ولكن الفضل الأكبر يرجع إلى لؤمى ومكرى .
لأنهما أكدا كل وشاية اصطنعها دون جون ،

م - ٣

حتّى لقد انطلق كلوديو محنقاً مغيظاً ،
وأقسم أنه حين يلتقى بها غداة اليوم التالى
فى الموعد المضروب . ويقف بجانبها فى الكنيسة
سيكشف أمام الجمع الحاشد عارها .
ويعلن ما شهده فى العشية بعينيه ؛
ويردها إلى بيت أبيها غير ذات بعل .

الحارس ١ : باسم الأمير آمرك أن تقف .

الحارس ٢ : ناد الرئيس . فقد كشفنا هنا أخطر خيانة عرفت فى الدولة

الحارس ١ : ومن بينهم واحد يدعى المشوّه وأنا أعرفه .
إنه يرسل على جبينه طرة حب [1]

كونراد : يا سادة . . . يا سادة .

الحارس ٢ : وسنحملك على إحضار المشوه معك أؤكد لك هذا .

كونراد : يا سادة .

الحارس ١ : لا تتكلم . إننا نأمرك أن تتركنا نستاقك معنا .

بوراشيو : أكبر ظنى أننا سنكون صيداً ثميناً
ما دام هؤلاء قد قبضوا علينا :

---

(١) آثرنا كلمة « طرة » للشعر على أية لفظة أخرى لأن عادة الظرفاء والمتأنقين فى عهد شكسبير أن يتركوا خصلة من الشعر تتدلى على جباههم أو فيما يلى آذانهم ، ولكن الحارس الجاهل ومثله دوجبرى ظناها « قفلا » وفى ذلك يقول – كما سيأتى بعد – يضع مفتاحاً فى أذنه ويعلق به قفلا .

كونراد : صيداً مريباً . هلموا . . . إننا ممتثلان لكما .

(يخرجون)

المنظر الرابع

في مخدع هيرو

تدخل هيرو ومرجريت وأورسولا

هيرو : أيقظي يا أورسولا ابنة عمي بياتريس واطلبي إليها النهوض .

أورسولا : طاعة يا مولاتي .

هيرو : والحضور إلى هنا .

أورسولا : سمعاً .

(تخرج)

مرجريت : يميناً . إن المرط[1] الآخر أحسن .

هيرو : كلا . . . أرجوك . سأرتدي هذا يا مرجريت .

مرجريت : يمين الحق إنه لا يعدله جمالا ، وأؤكد لك أن هذا هو ما ستقوله ابنة عمك .

---

(١) المرط في العربية كساء من خز يؤتزر به وتتلفع المرأة به وهو هنا شبيه بالثوب المقصود .

هيرو : ابنة عمى بلهاء . وأنت مثلها . لن ألبس سواه .

مرجريت : يروقنى هذا المئزر إلى أبعد حد ،

لو كان الشعر أسمر قليلاً .

وأما الثوب فنى الحق آية .

لقد رأيت ثوب دوقة ميلانو الذى أفاضوا فى مديحه.

هيرو : آه . . . لقد قالوا إنه يفوق الوصف .

مرجريت : يميناً إنه لا يعدو جلباباً للنوم إذاقيس بثوبك .

نعم لقد نسج من الذهب نَسْجاً .

وجُعل مقدمه من الفضة . ورُصّع باللآلئ .

وله كُمّان طويلان من الكتف إلى المعصم .

وأخريان فضفاضتان إلى المرفق .

وربطة مبهرجة بشفاف يضرب إلى الزرقة .

ولكن ثوبك من حيث رقة الطراز ، وجمال الزى وإبداعه ،

أفضل منه عشرة أمثال .

هيرو : أدعو الله أن يمتعنى بارتدائه لأنى أحس ثقلا شديداً يجثم

على صدرى .

مرجريت : لن يلبث أن يصبح « أثقل » تحت بدن رجل . . .

هيرو : تبًّا لك . . . ألا تستحين ؟ ؟

مرجريت : مم يا مولاتى ، وأنا أقول قولاً شريفاً ،

أليس الزواج شرفاً حتى للمتسول ؟
أو ليس سيدك أخا شرف بغير زواج ؟
أحسبك تريدين منى أن أقول
« مع احترامى العظيم لك ، زوجاً »
إذا لم يفسد سوء التفكير صدق القول ،
فإنى لا أسيء إلى أحد .
وهل من بأس فى قولى «سيصبح أثقل تحت بدن الزوج» ،
لا أعتقد أن هناك بأساً ،
ما دام المعنى المقصود بين المرء وزوجه ،
وإلا كان خفيفاً لا ثقيلا .
فإذا لم تصدقى فسلى مولاتى بياتريس فها هى ذى قادمة .

(تدخل بياتريس)

هيرو : عمى صباحاً يا ابنة العم .
بياتريس : عِمْتِ صباحاً يا هيرو الحسناء .
هيرو : ما بالك تتكلمين بنغمة مريضة ؟
بياتريس : أظن أنى لا أعرف ما عداها من النغمات .
مرجريت : لنغن بسرعة أغنية « نور الحب »
فهذه لا تتطلب صوتاً خفيضاً .
ما دمنا وحدنا لا رجال معنا ، فغنها أنت ، وأرقص أنا .

بياتريس : أغنية « نور الحب » بكعبيك الخفيفتين ؛
إذا كان زوجك يملك مرابط خيل كافية ؛
فسوف ترين عندئذ أنه لن يفتقر إلى الأجران
ولا يعوزه الولدان [١] !

مرجريت : قول نَـغْـلٌ ، ومنطق فاسد ، أركله ساخرة بكعبيّ .

بياتريس : كادت الساعة تؤذن الخامسة يا ابنة العم . وحان أن تستعدى ؛
يمين الحق إننى جد مريضة . يا لله . . . ألا من . . .

مرجريت : أتريدين صقراً ، أو صافناً ، أو صاحباً [٢] ؟

بياتريس : الحرف الذى تبدأ به جميعاً وهو الصاد صداع .

مرجريت : إذا لم تكونى قد غيرت رأيك
فلن يجدى الملاحين الاستهداء بالكواكب [٣] .

---

(١) هنا تورية قاسية من طراز شكسبير . فهو يريد أن يقول إذا كان زوجك يملك مرابط خيل كثيرة ، أى القوى المقتدر ، فلن تعوزه الولدان — أى ستلدين له كثيراً منه ومن غيره والجناس هنا فى كلمة الأجران فهى فى اللغة barns أى مخازن للعلف وهى أيضاً bairn أى ذرية وولدان .

(٢) جاء شكسبير بثلاث كلمات تبدأ كلها بالهاء وقد راعينا هذا فلم نجد بدا من إيراد ثلاث تبدأ كلها بحرف الصاد : واحتفظنا بالمعانى ، فجعلناها صقرا وصافنا أى جواداً وصاحبا أى زوجا . وردت بياتريس بكلمة مماثلة وهى بالهاء أيضاً .

(٣) فى الأصل إذا لم تتقلبى تركية ، أى عنيدة كما يوصف الأتراك ، فلا نفع فى حبك لبنيديك من تركه للظروف .

بياتريس : لست أدرى ماذا تريد هذه المغفلة .
مرجريت : لا شيء ولكن الله يحقق لكل امرئ أمنيته .
هيرو : لقد بعث الكونت إلىّ بهذا القفاز . إن له أرَجاً ذكياً .
بياتريس : إنّى « ممتلئة » برداً يا ابنة العم ، فلا أشم شيئاً .
مرجريت : بكر و « ممتلئة » ! نعم البرد الذى أخذته .
بياتريس : سبحان الله . ومتى احترفت قول النكتة ؟
مرجريت : منذ تركته أنت . ألا تليق فكاهتى بى إلى حد يثير الإعجاب ؟
بياتريس : غير ظاهرة بالقدر الكافى . . . الخير لك أن تضعيها فى طرطورك(١) . يمين الحق إننى لموعوكة .
مرجريت : خذى قليلاً من الكارديواس بنيدكتس(٢) المقطر واشربيه. إنه الدواء الوحيد الذى يفيد هذه النزلات المفاجئة .
هيرو : إنك تخزينها بعلاج شائك(٣) .
بياتريس : بنيدكتس ! ولم بنيدكتس بالذات ؟ إن لك فى وصفه معنى خفياً .
مرجريت : معنى خفياً ! كلا ويمين الحق ، لست أقصد أى معنى خفى .

---

(١) كعادة المهرجين .

(٢) على سبيل النكتة فقد استخلصت اسم دواء للزكام يتركب من كلمتين كارديواس نسبة إلى « كارد » وهو القلب . وبنيدكتس ، وهى تشبه اسم بنيديك .

(٣) تخزينها أى تشكيلها لأن الدواء الذى اقترحته عليها من النباتات ذات الأشواك أى عقه « غمزة » منها .

إنما أعني نبات المرار المقدس[1] ليس إلا .
ولعلك تظنين أنني أظنك تحبين .
كلا ، ويمين العذراء ، لست مغفلة إلى حد
أنني أظن حقاً ما أسمعه .
أو أسمع لما في إمكاني أن أظنه .
ولا يمكنني أن أظن وإن شئت ،
أن أستنفد كل خاطري فيما أظن —
إنك تحبين أو ستحبين أو يمكن أن تحبي .
ولكن أمر بنيديك مختلف فقد أصبح رجلاً
وكان من قبل يقسم أنه لن يتزوج أبداً .
فأضحى الآن على كره من قلبه ؛
يأكل طعامه غير مغمغم ولا متبرم ؛
ولست أدري متى تتغيرين أنت وتتبدلين ؛
ولكني أظنك تنظرين بعينيك كما يفعل غيرك من النساء .

بياتريس : أية سرعة هذه التي ينطلق بها لسانك ؟
مرجريت : ليست خبباً كاذباً .

(تعود أورسولا)

---

(١) هو النبات ذاته يوصف بأنه المقدس لأنه يستخدم في الأعراس .

أورسولا : مولاتى . ادخلى . فقد جاء الأمير والكونت والسنيور
بنيديك ودون جون
وجميع سادات المدينة ووجهاؤها ليصحبوك إلى الكنيسة .
هيرو : أعنّى على ارتداء ثيابى يا ابنة العم العزيزة ،
ويا مرجريت المحبوبة ويا أورسولا الكريمة .

(يخرجون)

المنظر الخامس

حجرة أخرى فى دار ليوناتو

يدخل ليوناتو ، ومعه دوجبرى وفارجس

ليوناتو : ماذا تريد منى أيها الجار العزيز ؟
دوجبرى : وحق العذراء يا سيدى . أريد أن أسر
إليك أمراً يحضك عن قرب[1] .
ليوناتو : قل وأوجز ناشدتك الله . فإننى كما ترى فى شغل شاغل .
دوجبرى : حقًّا إنه لكذلك يا سيدى .

(١) جاء شكسبير على لسان هذا الجاهل بكلمات محرفة وأخرى معكوسة أو بعيدة عن المعنى التى تحملها إبرازاً لمحاولته إظهار شىء من العلم والمعرفة ، فهو يريد بقوله يحضك عن قرب « يخصك » عن قرب ، أى وثيق الصلة بك .

فارجس : نعم إنه لكذلك حقيقة يا سيدى .
ليوناتو : وما هو يا صاحبىّ الكريمين ؟
دوجبرى : إن السيد فارجس « يشط » قليلا فى كلامه .
إنه شيخ كبير يا سيدى .
وليس كليل[١] الذكاء ، كما أرجو له بعون الله .
ولكنه والله صادق صريح كالجلدة التى بين حاجبيه[٢]
فارجس : أى نعم ، أحمد الله على أننى صادق،
لا أقل صدقاً عن أى إنسان حى ،
إذا كان شيخاً كبيراً ، ولم يكن أصدق منى .
دوجبرى : المفاضلات عطرة[٣] فأوجز القول ياسد فارجس .
ليوناتو : أيها الجاران . إنكما لثقيلان مملان .
دوجبرى : قد يسرك هذا القول يا مولاى ،
غير أننا رجلان مسكينان فى شرطة الدوق ،
ولكن فى الحق أنى لو كنت مملا كالملك[٤] ،
لهان علىّ أن أنعم بهذا الملل كله على سيادتك .
ليوناتو : بكل ملالتك علىّ أنا ؟ أهذا ما تقول ؟

(١) يريد حاد الذكاء .
(٢) الظاهر أن الجناة حين تثبت إدانتهم كانوا يُدمغون على الجلدة التى بين حواجبهم .
(٣) كلمة أخرى حرفها دوجبرى فى حرصه على التحذلق .
(٤) نسب الإملال والسماجة إلى الملوك ثم أنعم بهما على ليوناتو .

دوجبرى : أى نعم . ولو كانت أكثر من قيمتها بألف جنيه[١]
فقد سمعت عن سيادتك من الاستصراح[٢] المستطاب
بقدر ما سمعته عن أى رجل فى المدينة .
وإنى وإن لم أكن سوى رجل فقير لفرح بما سمعته .

فارجس : وأنا كذلك .

ليوناتو : أعنى أن أعرف ماذا تريدان أن تقولاه .

فارجس : يميناً يا سيدى أن حراسنا قبضوا الليلة[٣] على اثنين
من أشد المجرمين فى مسينا .
خلا سيادتك[٤]

دوجبرى : إنه لشيخ كبير يا سيدى فلا تأخذه بما يقول . وفى المثل
حين يُقبل العمر ، يدبر العقل[٥]
كان الله فى عوننا . ويا عجبا للدنيا وما فيها حقـًا ،
لقد أحسنت القول والله يا سيد فارجس ، الدنيا بخير[٦] .

---

(١) يظهر أن ألف جنيه قد علقت فى ذهنه من التحقيق فهو يرددها هنا .

(٢) يريد من الثناء .

(٣) يقصد طبعاً الليلة الماضية .

(٤) يقصد « من غير مؤاخذة » كما يقول العامة هنا . ولكنه ظن أن هذه العبارة هى المناسبة . وإن كان معناها أن ليوناتو هو أكبر المجرمين فى البلد .

(٥) أصل المثل « الخمر » فحرفها من اللام إلى الجيم فجاءت « العمر » والأصل مثل يضرب فى إظهار أثر الخمر فى الذهاب بعقل السكير .

(٦) فى الأصل على لسان هذا الجاهل « إنك رجل طيب » والمعنى الصحيح هو « الدنيا بخير كما خلقها الله » .

وحين يركب اثنان حصاناً ،
يتحتم أن يكون أحدهما رديفاً[١] ،
إنه والحق يقال رجل صادق يا سيدى ،
كأى امرئ أكل خبزاً ؛
ولكن سبحان الله إن الناس ليسوا سواسية
للأسف أيها الجار الكريم .

ليوناتو : حقاً أيها الجار إنه ليقصر عنك كثيراً .

دوجبرى : إن الله هو واهب النعم .

ليوناتو : لابد لى من ترككما .

دوجبرى : كلمة أخيرة يا سيدى . إن حراسنا يا سيدى قد أدركو[٢]
رجلين تحوم حولهما التشبيهات[٣] .
وسنأتى بهما فى هذا الصباح للتحقيق أمام سيادتك .

ليوناتو : توليا أنتما التحقيق وارفعاه إلىّ .
إننى فى عجلة شديدة الساعة كما تريان .

دوجبرى : حسبنا هذا[٤] .

---

(١) أى أحدنا يتكلم والآخر يسكت .
(٢) يريد أمسكوا .
(٣) يريد الشبهات .
(٤) يريد حسبنا هذا .

ليوناتو : تناولا شيئاً من النبيذ قبل أن تنصرفا . أستودعكما الله .

(يدخل رسول)

الرسول : مولاى . إن القوم ينتظرونك لزفاف كريمتك إلى زوجها .

ليوناتو : سأوافيهم . إننى مستعد .

(يخرج ليوناتو والرسول)

دوجبرى : اذهب أيها الزميل الكريم إلى فرانسيس سيكول
واطلب إليه أن يحضر قلماً ودواة إلى السجن
وسنتولى الآن التحقيق مع هذين الرجلين .

فارجس : وعلينا أن نسير فيه بحكمة .

دوجبرى : أؤكد لك أننا لن ندخر فيه نكتة[1]
وسنذهلهما ونقطع عليهما كل سبيل
وكل ما عليك أن تحضر الكاتب القدير
ليدوّن تقريراً وعليك أن توافينى[2] إلى السجن .

(يخرجان)

(١) يريد حكمة .

(٢) نطق بها خطأ حتى جعلها تبدو بمعنى « الطرد » من الكنيسة أو الحرمان من المغفرة وكان يقصد البيان المكتوب أو التقرير .

الفصل الرابع

المنظر الأول

في كنيسة

يدخل دون بدرو – دون جون – ليوناتو – القس فرانسيس
كلوديو – بنيديك – هيرو – بياتريس – والحاشية

ليوناتو : أقبل أيها القس فرانسيس وأوجز ،
فلا تتجاوز الصيغة المألوفة في عقد القران .
واترك شرح واجبات الزوجين إلى ما بعد .

القس : هل جئت هنا يا مولاى لتتزوج هذه السيدة .

كلوديو : كلا

ليوناتو : ليقترن بها أيها القس . وقد جئت أنت لتزويجهما .

القس : هل جئت أيتها السيدة لتقترني لهذا الكونت .

هيرو : نعم .

القس : إذا كان أحدكما يعرف عائقاً خفياً يحول دون قرانكما
فإنى أناشده بحق نفسه عليه أن يفضى به .

كلوديو : هل تعرفين شيئاً كهذا يا هيرو ؟

هيرو : كلا . يا مولاى .

القس : وهل تعرف أنت يا كونت ؟

ليوناتو : أجترئ فأرد عنه نافياً .

كلوديو : كم من امرئ يجترئ على أن يفعل ،
وكم من رجل يجوز له أن يفعل ،
وكم من أناس فى كل يوم يفعلون .
وهم لا يعلمون أنهم يفعلون .

بنيديك : ما هذه الألفاظ كلها ؟
إن بعضها أشبه بعلامات الضحك .
كقولك آه – هأ . . هى !

كلوديو : تنح قليلا أيها القس . ودعنى أسألك يا أبى[1] .
هل أنت واهبى هذه العذراء ابنتك بنفس طائعة مختارة ؟

ليوناتو : كما وهبنيها الله بمشيئته ورضاه .

كلوديو : وماذا تسألنى لقاءها ،
حتى يتكافأ وهذه الهبة النفيسة الغالية ؟

دون بدرو : لا شىء إلا أن تردها إليه .

كلوديو : أيها الأمير العزيز ، إنك تعلمنى نبل العرفان بالجميل .
أى ليوناتو . خذها .
ولا تعط صديقاً لك هذه البرتقالة العفنة .
فليس عليها من شرف العذراء غير مظاهره .

---

(١) هو الرجل الذى كان مفروضاً أن يصبح « حميه » .

انظر إليها كيف يتورد محياها خجلا .
يا لله ! ما أقدر الخطيئة النكراء ،
على إخفاء ذاتها بميسم الصدق .
أليس هذا الحياء على الطهر والنقاء دليلا متواضعاً ؟
وأنتم يا من تنظرون إليها
ألا تقسمون إنها لعذراء ،
حين ترون هذه المظاهر الخارجية ؟
ولكنها ليست كذلك .
لقد عرفت حرارة الفراش ودفء المضجع ،
وليس تورد وجهها حياء، بل استنكافاً من جرمها واستخذاء.

ليوناتو : ماذا تعنى بهذا يا مولاى ؟

كلوديو : أعنى أننى لن أتزوج .
ولن أربط روحى بامرأة آثمة ثبت الجرم عليها .

ليوناتو : إذا كنت يا مولاى العزيز بما لك من قوة الحجة
قد استطعتَ أن تتغلب على مقاومة شبابها
وهزمت عذرتها . . . فإن . . .

كلوديو : أعرف ماذا كنت قائلاً لو أننى عرفتها من قبل وخبرتها.
ستقول إنها اعتنقتنى بوصفى زوجها .
وفى هذا ما يخفف من إثم التعجل .

ليس الأمر كذلك ياليوناتو ،
فما أغريتها يوماً بكلمة عوراء .
بل رحت كأخ لأخته أبدى لها
الإخلاص الحىّ والحب النقى .

هيرو : وهل كنتُ يوماً غير ذلك نحوك ؟

كلوديو : سحقاً لك . أيها الرياء. لأكتبن عنك[1] ولأندّدنّ بك.
إنك لتظهرين شبيهة بديانا فى فلكها[2]
وفى مثل نقاء الزهرة فى كمها ،
قبل أن تهب عليها الأنفاس .
بل إنك لأحرّ دماً من فينوس[3] .
وأطغى بهيمة من تلك الحيوانات المرفهة ،
التى تحتدم الشهوة فيها احتداماً .

هيرو : هل مولاى سليم وهو يتكلم على هذا النحو
البعيد من الصدق ؟

---

(١) هكذا فى الأصل ، ومعناها سأفضحك أو أندد بك .

(٢) إشارة إلى « ديانا » ربة العفاف وهى هنا تمثل القمر فى دورانه حول الأرض وهى فى أساطير الإغريق ابنة الإله زفس وشقيقة أبوللو وهى عذراء يعبدها العذارى ويحرصن على عذريتهن حتى يتزوجن .

(٣) ابنة جوبتير ، وقد رسمها الرسامون فى صورة من الحسن الباهر وهى أم كيوبيد إله الحب ومن لوازمها اليمامة والخطاف والريحانة والوردة والتفاحة .

ليوناتو : أيها الأمير الكريم . لماذا لا تتكلم ؟

دون بدرو : ماذا أقول ؟

إننى أقف الآن مثلوم الكرامة ، وأنا الذى سعيت

فى ربط صديقى العزيز بامرأة لا شأن لها ولا قدر

ليوناتو : أأسمع حقاً . أم أنا فى حلم .

دون جون : إنك تسمع ، وأن ما تسمعه لحق

بنيديك : ليس هذا من مظاهر العرس

هيرو : حقاً . . . رباه !

كلوديو : أى ليوناتو . أترانى فى هذا المكان واقفاً ؟

وهل هذا هو الأمير وهل هذا أخوه ؟

وهل هذا وجه هيرو . وهل هذه حقاً أعيننا ؟

ليوناتو : كل هذا صحيح . ولكن ماذا تعنى يا مولاى ؟

كلوديو : دعنى أوجه سؤالاً واحداً إلى ابنتك ،

وأمرها بحق سلطانك الأبدى الرفيق عليها

أن تجيب عنه صدقاً .

ليوناتو : آمرك وأنت ابنتى أن تفعلى

هيرو : رب . خذ بيدى . فقد أحيط بى .

بأى اسم تدعو هذا الاستجواب ؟

كلوديو : أريد أن أحملك على جواب صادق يكشف عن اسمك .

هيرو : أليس اسمى هيرو ؟
فمنذا الذى يستطيع أن يدنسه بمعاب صحيح .
كلوديو : ذلك ما تستطيعه هيرو نفسها .
فهى التى تستطيع أن تمحو شرفها .
خبرينى من ذلك الذى كان يتحدث إليك ليلة أمس ؟
تحت نافذتك بين الثانية عشرة والواحدة ؟
إن كنت حقًّا عذراء فأجيبى .
هيرو : لم أتحدث إلى أحد فى تلك الساعة يا مولاى .
دون بدرو : أنت إذن لست عذراء .
يا ليوناتو يحزننى أن أنبئك مقسما بشرفى
وشرف أخى وشرف هذا الكونت الكليم المحزون
إننا رأيناها وسمعناها فى تلك الساعة من الليلة البارحة
تكلم وغداً مجرماً من نافذة مخدعها .
وقد اعترف فعلاً شأن السافل المستهتر ،
باللقاءات الأثيمة التى جرت سرًّا بينهما مئات المرات .
دون جون : العار . العار !
إن هذه اللقاءات لا تحصى يا مولاى ولا توصف ،
فليس فى اللغة من العبارات العفة ،
ما يكفى المرء من غير سوء أن يفوه بها .

إننى لآسف أيتها السيدة الحسناء ،
لهذا المسلك الأثيم الذى سلكته .

كلوديو : أى هيرو ، لقد كنت تروحين اسماً على مسمى [١]
لو أن نصف هذا الجمال الظاهر الذى أوتيته ،
أحيط بدوافع قلبك وخوالج فؤادك !
ولكن سعدت حالاً يا من جمعت
بين أشد الدنس ، وأبهى الحسن .
وداعاً أيها الدنس النقى ، وداعاً أيها النقاء الدنس [٢]
فى وجهك سأغلق جميع أبواب الحب .
وعلى أجفانى سأعلق الريبة ،
حتى أرى كل جمال أذى وضراً ، فلن أفتن به يوماً

ليوناتو : ألا من خنجر هنا أغيبه فى هذا الصدر ؟

(يغمى على هيرو)

بياتريس : ما هذا يا ابنة العم ، ولماذا تخرين مغشياً عليك ؟

دون جون : هلموا بنا إن الأمر قد وضح ،
فخنق أنفاسها خنقاً .

(يخرج دون بدرو ودون جون وكلوديو)

---

(١) هيرو معناها « البطل » ومؤنثها البطلة أى كان منتظراً أن تكونى اسماً على مسمى .
(٢) من باب القلب كقولهم « كلام الملوك ملوك الكلام » .

بنيديك : ماذا بها . . . ؟

بياتريس : أحسبها قد ماتت — الغوث يا عماه . . .
هيرو ، هيرو . . . ! عماه . . . سنيور بنيديك
أيها القس . . .

ليوناتو : أيها القدر ، لا تنزع يدك الثقيلة الداهمة عنها .
إن الموت خير ساتر لعارها ، وأحسن غطاء نتمناه لها .

بياتريس : . . . هيرو ابنة العم ، ما الذى دهاك ؟ أفيقى .

القس : رَوّحى عنك يا سيدة ولا تراعى .

ليوناتو : أتفيقين ؟

القس : أجل ، ولم لا ؟؟

ليوناتو : لم لا ؟ ؟ ألا ترى أن كل شىء فى الأرض ينادى بعارها؟
أتستطيع أن تنكر القصة التى طبعها العار على وجهها ؟
لا تحيى يا هيرو ولا تفتحى عينيك .
ولو كنت أظن أن الموت غير معاجلك ؛
وكان فى حسبانى أن روحك أقوى من عارك ،
لانتزعت بنفسى الحياة منك انتزاعاً ،
عقب ما وجهه إليك من تأنيب .
وا حزنى . ووا فجيعتى . وليس لى إلا ابنة واحدة ،
أفأعيب على الطبيعة بخلها !

أواه . إن واحدة من طرازك لكثير ؟
لما رزقت واحدة ؟
ولماذا كنت على الدهر جميلة فى عينىّ ؟
ولماذا لم يقدر لى رحمة وإحساناً ،
أن أكون السائل المتكفف عند بابى ؟
أنا الذى تلوث على هذا النحو عرضه !
وتلطخ بالعار اسمه !
لقد كان فى إمكانى أن أقول .
إنها ليست فى شىء منى ،
وإن إثمها جاء من صلب مجهول :
ولكنها ابنتى التى أحببت وأعززت ،
ابنتى التى أشدت بها ونوّهت .
وفاخرت بها الناس وباهيت .
إنها منى بل أكثر .
حتى لقد ذهبت فى الغلو بقدرها ،
أحسب نفسى ليست لنفسى .
وإننى لا أملك لذاتى بعدها شيئاً .
فإذا هى ، أواه ، إذا هى تتردى فى هوة من مداد ،
إذا أريد منه تطهيرها
لنفد البحر قبل أن تطهر منه .

ولما كفى ملح البحر لتطهير لحمها الملوث .

بنيديك : سيدى . سيدى . صبراً .
بعض هذا الحنق . إننى من فرط العجب
لا أدرى ماذا أقول .

بياتريس : أواه . . . ونفسى التى بين جنبى
أن ابنة عمى ضحية إفك وافتراء .

بنيديك : هل كنت ليلة أمس يا سيدتى نائمة معها فى فراش واحد ؟

بياتريس : كلا . . . فى الحق .
وإن كنت طيلة هذا العام أرقد معها
إلا الليلة الماضية فلم أفعل .

ليوناتو : لقد حصحص الحق . . . إن هذا ليزيد الحجة قوة ،
وإن كانت من قبل قد سيجت بقضبان من حديد ،
أفيكذب الأميران ، ويفترى عليها كلوديو ،
الذى أحبها الحب كله ،
وراح فى الحديث عن رجسها يغسله بالدموع .
ألا بعداً لها . . . دعوا الموت يخترمها .

القس : استمع لى هوناً ما .
فقد اعتصمت بالصمت كل هذه اللحظة ،
وتركت المقادير تجرى فى أعنتها .

لقد لاحظت وأنا أرقب حركاتها وسكناتها ،
أطيافاً من حياء تتوارد على وجهها ،
وأخرى بريئات فى مثل بياض وجوه الملائكة ،
تغالب ذلك الخجل وتلاشيه ،
ثم بدت فى عينيها شعلة نار
تحرق الإفك الذى أقامه هذان الأميران
على صدق عذرتها .
فلتدعنى مغفلا ولا تثق بما قرأته .
ولا تركن إلى ملاحظاتى
التى طبعتها التجارب بخاتمها مؤكدة
صدق قراءتى . ومضمون حكمتى .
لا تثق بكبر سنى ومركزى . وقدسية معرفتى .
إذا لم تكن هذه السيدة الحسناء بريئة من الإثم ،
ولكنها ضحية خطأ أليم .

ليوناتو : لا يمكن أن يكون الأمر كذلك أيها القس .
ألا ترى أن الكفارة الوحيدة التى بقيت لها
أنها لا تضيف إلى إثمها إثماً آخر ،
وهو القسم زوراً . أنها لم تنكر .
فلماذا تريد أنت أن تستر بالأعذار

ما بدا فى صورته الحقة ؟

القس : سيدتى . أى رجل هذا الذى تُتهمين به ؟

هيرو : يعرفه الذين اتهمونى . أما أنا فلا أعرف أحداً .
ولو عرفت عن أحد من الأحياء
أكثر مما يبيحه حياء العذارى ،
فلتنأ الرحمة عن كل خطاياى .
أبت إن ثبت لك أنى تحدثت مع رجل
فى ساعة لا يسوغ فيها الحديث ،
أو أنى تبادلت ليلة أمس الكلام مع مخلوق .
فابرأ منى وامقتنى ، وعذبنى حتى أموت .

القس : أحسب الأمراء قد وقعوا فى خطأ عجيب .

بنيديك : إن منهم اثنين هما مثال النزاهة والشرف ،
فإن أخطأهما الصواب فى هذا الأمر وضلا سبيل الحكمة ،
كان هذا الكيد من تدبير جون النغل
الذى دأبت نفسه على الشر .

ليوناتو : لست أدرى ، ولكن إذا كان الحق ما قالوا عنها
فسأقطعها بيدى إرباً ،
أما إذا كانوا فيما تناولوا به شرفها ظالمين ؛
فوا الله لأحاسبن أشدهم اعتداداً بنفسه وأكثرها كبرياء ،

إن الزمن لم يجفف بعد الدم الذى يجرى فى عروقى .
وتقدم السن لم يستنفد منى حيلتى .
ولا الأقدار أتلفت مواردى.
ولا العيش المرسل على عواهنه أفقدنى أصحابى .
لسوف يرون قوة البدن . وأصالة العقل ،
حين يستيقظان فى رجل مثلى .
ولسوف يشهدون مقدرة الموارد، وخيرة الصحب والمناصرين.
كيف تثأر لى أشد الثأر من المتجنين والظالمين .

القس : مهلاً ، ودع نصيحتى تَهْدِكَ فى هذا الأمر سواء السبيل
لقد انصرف الأمراء وهم يحسبون ابنتك
قد ذهبت فى الهالكين ،
فاحتجزها سرًّا عن الناس إلى حين ،
وأعلن على الملأ أنها قد ماتت حقًّا
واصطنع عليها حداداً .
وأقم على مقبرة عشيرتك رثاء لها يروح على مماتها شهيداً ،
واحتفل بالدفن احتفال الأحياء بالموتى :
مراسم وطقوساً عداداً . . .

ليوناتو : وما أثر ذلك وما جدواه ؟

القس : يميناً إن هذا سيحيل الوشاية، إلى ندامة ؛

إذا أُتقنت الحيلة .
وفى هذا التحول بعض الخير ،
ولكن ليس هذا السبيل الغريب هو الذى أرمى إليه ،
بل الذى أرجوه من وراء هذا الجهد الشاق
أكبر من ذلك شأناً ، وأبعد منه مدى .
إن موتها فى اللحظة التى اتهمت فيها ، إذا أحكمتم إعلانه ،
سيحمل السامعين على التفجع عليها ، والرثاء لها ،
واسماحة المعاذير عنها .
فقد جُبل الناس على أن ما نملكه لا نعرف قيمته ،
ما دمنا ننعم بمتعته .
فإذا انتزع منا وفقدناه ، عرفنا له يومئذ قدره ،
وبدا لنا فضله وخطره .
وكنا من قبل وهو فى أيدينا بقيمته جاهلين .
وسيكون هذا حال كلوديو ،
حين يسمع بأنها ماتت من أثر أقواله ،
فلا تلبث صورتها قبل الممات أن تتسلل برفق إلى خياله ،
وإذ تبدو له كل معالم جمالها فى الحياة
فى صورة أجمل وأغلى مظهراً ،
وتتمثل لعين نفسه وخاطره ،

أقتن وأرق أثراً مما كانت وهى فى عالم الحياة ،
وعندئذ سيحزن عليها إن كان للحب مكان فى جوانحه ،
ويتمنى لو أنه لم يتهمها بمثل ما اتهمها به .
وإن اعتقد أن الاتهام كان حقاً ، فافعل كما أشرت ،
ولا تشك فى أن ما سوف يحدث بعدئذ ،
سيشكل النتيجة خيراً مما أستطيع أن أصورها أنا .
أما إذا أخطأنا التوفيق فى كل ما عدا هذا ،
فإن تصور ميتتها ، سيروى ظمأ العجب من سوء فعلتها .
فإذا لم تأت النتيجة كما نتمنى ،
فلك أن تخفيها فى معزل أو متبتل[1] تضمد فيه جرح سمعتها ،
بعيداً عن الأعين والألسنة والأذهان ومساءة المسيئين .

بنيديك : خذ يا سنيور ليوناتو بنصيحة القس ،
وإنك لتعلم خبيئة نفسى وحبى للأمير وكلوديو .
ولكنى أقسم بشرفى أننى معالج هذا الأمر
سراً وعدلاً كما تعامل روحك جسدك .

ليوناتو : لقد هدنى الأسى هداً ، حتى ليقودنى الطفل الصغير .

القس : اتفقنا – فلننصرف فى الحال ،
ومن يطلب لغرائب القروح شفاء ،

---

(١) أى دير .

فليلتمس لها جهد الطاقة الدواء .
وأنت يا سيدتى هلمى ، اطلبى الموت توهبى الحياة ،
ومن يدرى ، فلعل هذا العرس مرجأ إلى حين ،
فاصبرا وتجلدا[1]

(يخرج الجميع إلا بنيديك وبياتريس)

بنيديك : أى بياتريس – هل كنت تبكين كل هذه الفترة ؟
بياتريس : أجل وسيطول بكائى
بنيديك : لا أريد ذلك .
بياتريس : ليس لك حق . إننى أفعل ذلك باختيارى.
بنيديك : أعتقد يقيناً أن ابنة عمك الحسناء مظلومة .
بياتريس : كم يستحق عندى الرجل الذى يستطيع أن ينصفها .
بنيديك : هل من سبيل إلى إظهار هذه الصداقة ؟
بياتريس : السبيل جلية واضحة ، ولكن أين الصديق ؟
بنيديك : هل يستطيع رجل أن يتولاه ؟
بياتريس : إنه عمل رجال ، ولكنه ليس عملك .
بنيديك : لست أحب فى هذا العالم شيئاً قدر حبى لك ،
بياتريس : أليس هذا غريباً ؟

---

(١) هذا القس يشبه زميله فى رواية « روميو وجولييت » فقد أعطى هذا جولييت دواء يحدث غيبوبة إلى حين ريثما يعود إلى القبر فيوقظها منه ولكنه جاء بعد مصرع حبيبها . وفى هذه الرواية شىء كثير يكاد يشبه ما فى الرواية الأخرى التى كتبها شكسبير قبل هذه بقليل .

بياتريس : غرابة الشيء الذى لا أعرفه[1] . لقد كان فى مقدورى أن أقول إننى لا أحب شيئاً قدر حبى لك — ولكن لا تصدقنى وإن كنت لا أكذب ، ولست أعترف بشيء ، ولا أنكر شيئاً إننى فى أسف على ابنة عمى .

بنيديك : أقسم بسيفى يا بياتريس إنك تحبيننى .

بياتريس : لا تقسم به ، بل ابلعه .

بنيديك : أقسم به إنك تحبيننى ،
وأدفعه فى حلق من يقول إننى لا أحبك .

بياتريس : أو لن تبتلع كلامك ؟

بنيديك : لم يُصطنع بعد المرق الذى يطبخ به ، إننى أقر أننى أحبك

بياتريس : إذن ليغفر لى الله !

بنيديك : أى ذنب جنيته أيتها الحسناء بياتريس ليغفره ؟

بياتريس : لقد أخرتنى لحظات هنية ، فقد كدت أقر أنى أحبك

بنيديك : أقرى به من كل قلبك .

بياتريس : أحبك حباً ملك على كل قلبى .
فلم يترك منه شيئاً ليقره .

بنيديك : مرينى أفعل شيئاً من أجلك .

بياتريس : أقتل كلوديو .

---

١) تعنى حبها له .

بنيديك : ها ! هذا محال . ولو أعطيت العالم كله .
بياتريس : إنك برفض سؤالى تقتلنى . . . وداعاً !
بنيديك : مهلاً . . . بياتريس الحلوة
بياتريس : لقد ذهبت ، وإن كنت هنا .
ليس فى فؤادك حب لى . . . أناشدك دعنى أذهب .
بنيديك : بياتريس !
بياتريس : يميناً لأذهبن عنك .
بنيديك : لنكن صديقين أولاً .
بياتريس : أأيسر لك أن تكون لى صديقاً
من أن تقاتل من أجلى عدواً لى ؟
بنيديك : وهل كلوديو عدوك ؟
بياتريس : ألم يثبت أنه أوغد الأوغاد ؟
أن قذف ابنة عمى وازدراها
وولغ فى عرضها ،
ليتنى كنت رجلاً !
يا للنكر ! أكذلك يأخذ بيدها إلى
الموضع الذى سيطلب فيه يدها ؟ !
وعندئذ يوجه علانية التهمة إليها .
يا للفضيحة السافرة ! ويا للحقد الشديد . . .
رباه . لو أنى كنت رجلا .

لأكلت قلبه على الملأ أكلاً .

بنيديك : استمعى إلىّ يا بياتريس .

بياتريس : تتحدث إلى رجل من النافذة ! ما شاء الله ! قول صادق[١]

بنيديك : ولكن يا بياتريس . . .

بياتريس : واهاً لهيرو الحسناء . لقد ظُلمت
وافتُرى عليها وهدمت هدماً .

بنيديك : بياتريس . . .

بياتريس : أمراء وأشراف . ومن ذا يجادل فى شهادة أمير ،
ويدحض قول كونت ؟ كونت حلاوة[٢] ؟
رجل حلو ، شهم حقًّا ... أواه ... لو كنت رجلا من أجله
أو كان لى فى الصحاب من يكون رجلاً من أجلى ،
ولكن الرجولة قد استحالت انحناءات ،
وانقلب الرجال ألسنة ، لا تقول إلا متلطفة .
وانقلبت الشجاعة ملقاً ، وزخرفاً ،
واستحال الناس ألسنة ، وألسنة مزخرفة .

---

(١) تردد التهمة متهكمة ساخرة .

(٢) تقول هذا سخرية وكل ما تقوله الآن عنه سخرية لاذعة ولهذا أردفت فى وصفه التهكمى قولها « رجل حلو » حقاً .

وأمسى الشجاع فى مثل شجاعة
هرقل من يكذب ، ويحلف إنه لصادق .
وهيهات أن أكون رجلا بمجرد أمنية ،
فلأمت إذن امرأة ذاهبة النفس حسرة وبكاء . . .

بنيديك : بياتريس. مهلاً . أقسم بهذه اليد التى أمدها إنى أحبك !

بياتريس : استخدمها من أجل حبى فى شىء آخر غير الحلف بها.

بنيديك : هل تعتقدين فى أعماق نفسك أن الكونت
كلوديو قد ظلم هيرو ؟

بياتريس : نعم . إنى لعلى يقين بهذا كيقينى بنفسى التى بين جنبىّ .

بنيديك : حسبى هذا مبرراً . . . لك إذن عهدى ، وإنى لمبارزه ،
دعينى ألثم راحتك ثم أنصرف .
وحق هذه اليد[1] لأحاسبن كلوديو حساباً عسيراً .
وليكن ظنك فىّ قائماً على ما تسمعينه عنى .
اذهبى لتواسى ابنة عمك ،
لابد لى أن أقول إنها قد ماتت . والآن . وداعاً . . .

(يخرجان)

(١) يدها هى .

المنظر الثانى

السجن

يدخل دوجبرى وفارجس والكاتب[١] وهم فى أرديتهم .
والحرس ومعهم كونراد و بوراشيو

دوجبرى : هل اكتمل عقد شتاتنا

فارجس : مقعداً و وسادة لحضرة الكاتب .

الكاتب : ومن الجناة ؟

دوجبرى : أقسم إنهما أنا و زميلى هذا

فارجس : هذا مؤكد ... نحن الذين أذن لنا أن نتولى الاستجواب.

الكاتب : ولكنى أسأل من الجناة الذين يراد استجوابهم .
أحضروهم أمام حضرة الضابط .

دوجبرى : نعم أحضروهم أمامى . ما اسمك يا صاح .

بوراشيو : بوراشيو .

دوجبرى : اكتب من فضلك اسمه — بوراشيو . وأنت يا مولاى ؟

كونراد : أنا سيد يا حضرة . . . واسمى كونراد .

---

(١) دعوناه الكاتب ولكنه فى الأصل « القندلفت » أو المنوط بالقناديل .

دوجبرى : اكتب – الرئيس السيد كونراد .
اسمع أنت وصاحبك هل تخدمان الله ؟

كونراد
بوراشيو } (معاً) نرجو ذلك يا سيدى

دوجبرى : اكتب . إنهما يرجوان أن يكونا فى خدمة الله .
وابدأ بالله أولاً . ومعاذ الله يتقدم عليه هذان الشقيان .
يا أيها السيدان . لقد ثبت فعلاً أنكما لافرق بينكما
وبين الأوغاد الخائنين –
وهذا ما سيظهر عاجلاً ، فما أقوالكما ؟

كونراد : أقوالنا يا سيدى أننا لسنا كما وصفت

دوجبرى : ألا ما أعجب ذكاءك سأعرف كيف أحيط به .
تعال هنا أيها الإنسان أسرّ إليك كلمة؛ لقد قلت إنكما
وغدان خائنان .

بوراشيو : وأنا أقول لك إننا لسنا كذلك .

دوجبرى : إذن ... قف فى ناحية . والله إنهما لمتفقان على كلام
واحد يقولانه . هل كتبت عندك أنهما ليسا كذلك .

الكاتب : ليست هذه هى طريقة التحقيق .
إن عليك أن تحضر الحراس الذين اتهموهما .

دوجبرى : أى والله . هذه أيسر طريقة . أحضروا الحرس فى الحال .
أيها الحرس أطلب إليكم باسم الأمير
أن توجهوا الاتهام إلى هذين الرجلين.

الحارس ١ : إن هذا الرجل يا سيدى قال
إن دون جون أخا الأمير . وغد أثيم .

دوجبرى : اكتب أن الأمير جون وغد أثيم .
هذه وحدها خيانة صريحة . أفتصف أخا الأمير بالوغد.

بوراشيو : يا حضرة الضابط . . .

دوجبرى : أرجوك يا حضرة . . . أن تسكت
وأؤكد لك أن نظراتك لا تعجبنى .

الكاتب : وماذا سمعته يقول أيضاً .

الحارس ٢ : سمعته والله يقول إنه أخذ ألف دوقية من دون جون
لاتهام السيدة هيرو ظلماً .

دوجبرى : مؤامرة صريحة ما بعدها مؤامرة .

فارجس : وحق عشاء الرب إنها لكذلك .

الكاتب : وماذا أيضاً ؟

الحارس : وأن الكونت كلوديو أقسم بشرفه أنه سيشهر بهيرو
أمام الجمع كله ، وأنه لن يرتضيها زوجاً له .

دوجبرى : يا للشقى . سيحكم عليك بعقاب مؤبد نظير هذا القول .

الكاتب : وماذا أيضاً ؟
الحارس : هذا هو كل شيء .
الكاتب : وهو أيها السيدان أكثر مما تستطيعان إنكاره ،
فإن الأمير جون غادر البلد خفية فى صباح اليوم .
واتهمت هيرو فعلاً على هذا النحو ،
ورفض القران بها ، على هذه الصورة ،
فعاجلها الموت فجأة من فرط الحزن .
يا حضرة الضابط مر بشد وثاق هذين الرجلين ،
واستياقهما إلى دار ليوناتو وسأسبقك إليه
لأعرض التحقيق عليه . (يخرج)
دوجبرى : هيا أوثقوهما .
فارجس : وضعوا الأغلال فى أيديهما .
كونراد : بعداً لك أيها المأفون .
دوجبرى : لى الله . أين الكاتب
ليدوّن قوله عن خادم الأمير مأفون .
هلموا شدوا منهما الوثاق . . . أيها الوغد الأثيم .
كونراد : بعداً لك . . . إنك لحمار . . . إنك لحمار .
دوجبرى : ألا تحترم مركزى ، ألا توقر سنى .
ليت الكاتب هنا ليكتب أنى حمار .

ولكن تذكروا يا سادة أنني حمار
وإن لم يدوّن هذا فى المحضر.
لا تنسوا أنني « حمار » .
كلا أيها الشقى إنك لملء ثوبك شرًّا وغدراً ،
وسيثبت ذلك عليك بأقوال الشهود الصادقين ،
إنني رجل عاقل ، وأكثر من هذا ضابط ،
بل أكثر من ذلك رب بيت ،
وأكثر من أولئك إنسان مهذب
كخير من احتوتهم مسينا .
ورجل يعرف القانون .
وميسر الحال ، دعني أقل لك ،
وامرؤ كسب فى حياته وخسر .
وله رداءان لا رداء واحد .
وعنده كل ما يسر ويرضى هلموا خذوه .
. . ليتني كتبت فى المحضر « حماراً » .

(يخرجون)

الفصل الخامس

المنظر الأول

أمام دار ليوناتو

يدخل ليوناتو وأنطونيو

أنطونيو : إنك لمود بحياتك إذا استرسلت على هذا النحو ،
وليس من الحكمة أن تعين الحزن على نفسك هكذا .

ليوناتو : أناشدك أن تكف عن نصحك ،
لأنه يقع فى أذنى موقع الماء فى الغربال لا يجدى شيئاً .
لا تنصحنى ولا تحاول أن تسرى عنى .
وجئنى بمن تشبه فجيعته فجيعتى ،
جئنى بأب أحب ابنته حبى ،
وكان فرحه بها عظيما مثل فرحى ،
ودعه يحدثنى عن الصبر ،
ويقس مصابه طولاً وعرضاً بمصابى ،
ويوازن بين حزنه وحزنى . وخطبه وخطبى .
من كل ناحية ، ووجه . وشكل . وصورة .
فإن رأيته يبتسم . ويمسك بلحيته[1] ليتكلم
فقل عندئذ للحزن توار .

---

(١) حركة يؤديها المرء حين يشعر بأنه قد اهتدى إلى كلام بديع سيقوله .

واطلب إلى الأسى أن يزول .
فإن شهدته يئن أنيناً ، فخفف الحزن عنه بالحكم والأمثال.
واغمر أصحاب الخطوب الكبار
بأقوال العاكفين على الكتب ليل نهار .
فلتأتني به إن استطعت لآخذ عنه الصبر .
ولكن هذا الرجل لا وجود له .
لأن الناس يا أخي ينصحون ويواسون
في الخطوب التي لا يشعرون هم بها .
فإذا ذاقوا من صابها انقلبوا ثائرين ،
وكانوا من قبل
يقدمون الحكم والمواعظ علاجاً من كربتها .
وما مثلهم في هذا إلا كمثل من يقيد المجنون الهائج
بخيوط من حرير . ويزيل الألم بالنفخ فيه ،
ويعالج العذاب الأليم باللفظ .
كلا . كلا . لقد جبل الناس جميعاً على التحدث عن
الصبر إلى من ينوءون بحمل الأسى .
ولكن هيهات لامرئ أن يسدى هذه النصائح
إذا هو نفسه ذاق المصاب .
فلا تنصحني إذن . إن أحزاني أجهر صوتاً من النصائح.

أنطونيو : لا فرق إذن بين الرجال والأطفال .

ليوناتو : أناشدك أن لا تكلمنى . إننى إنسان من لحم ودم .
وما رأينا يوماً حكيماً
استطاع أن يحتمل ألم الضرس صابراً .
وإن شهدنا الفلاسفة والحكماء
يكتبون أروع الكتب ويتوخون أبدع الأساليب ،
ويستخفون بصروف الدهر والأحزان .

أنطونيو : ولكن لا تلق التبعة كلها على كاهلك وحدك ،
بل دع الذين ظلموا يحملوا منه نصيبهم كذلك .

ليوناتو : ها أنت ذا تقول حقًا . أجل . إنى لفاعل .
فإن نفسى تحدثنى أن هيرو قد ظُلمت .
وسيعلم هذا كلوديو ، وسيعرفه الأمير
وجملة الذين افتروا عليها وثلموا عرضها .

أنطونيو : ها هو ذا الأمير وكلوديو قادمان مسرعين .

(يدخل دون بدرو وكلوديو)

دون بدرو : طاب صباحك . طاب صباحك .

كلوديو : طاب يومكما جميعاً

ليوناتو : استمعا إلىّ أيها الأميران .

دون بدرو : إننا فى عجلة ، يا ليوناتو

ليوناتو : فى عجلة يا مولاى . أدعو لك بالتوفيق يا سيدى ،
متعجلان الآن . هذا شىء لا يهمنى .

دون بدرو : لا تشتجر معنا أيها الشيخ الكريم .

أنطونيو : لو استطاع بالشجار أن ينتصف لنفسه .
لهوى بعضنا من علیائه

كلوديو : ومن الذى ظلمه ؟

ليوناتو : قسما إنك أنت الذى ظلمتنى . أيها المرائى . . . أيها . . .
حذار . . . لا تضع يدك على مقبض سيفك .
فإنى أخافك .

كلوديو : شلت يمنى . إن هى أخافت شيخاً فى مثل سنك ،
يمين الله ، ما أرادت كفى ، أن تصنع شيئاً لسيفى .

ليوناتو : أف لك يا رجل . أف لك . وحسبك .
لا تسخر منى ولا تهزأ بى .
فإنى لست فيما أقول مخرفاً وما أنا بمأفون .
ولا أنا بمستغل سنى للتفاخر
بما فعلت فى الفتوة والشباب ،
أو أستطيع فعله لو لم أكن شيخاً مسناً .
إلا فاعلم يا كلوديو صراحة ،
أنك ظلمت ابنتى البريئةوظلمتنى .

وإنى لمضطر أن أطرح وقارسنى جانباً ،
وأدعوك للمبارزة وإن كان رأسى قد اشتعل شيباً ،
وإن كنت قد تلقيت كثيراً من الجراح .
أكرر القول إنك قد ظلمت ابنتى البريئة ،
ومزقت بإفكك قلبها تمزيقاً ،
فهى الساعة ترقد إلى جانب آبائها ،
فى قبر ما رقدت فيه الفضيحة يوماً من الأيام ،
خلا هذه الفرية التى نسج الكيد لها الخيوط !

كلوديو : كيدى أنا ؟

ليوناتو : أجل . كيدك أنت يا كلوديو ، كيدك أنت

دون بدرو : أخطأت الصواب أيها الشيخ .

ليوناتو : مولاى . مولاى .
سأثبت صدق قولى فوق جثته ،
إذا هو اجترأ على مناجزتى ،
رغم براعته فى فنون المجالدة ،
ودربته الطويلة عليه ، وربيع شبابه ، وعنوان بأسه .

كلوديو : أغرب عنى . ليس لى بك شأن .

ليوناتو : أتجرؤ على تنحيتى ؟ لقد قتلت ابنتى .
فإن تقتلنى يا فتى تقتل رجلا .

أنطونيو : بل سيقتلنا نحن الاثنين . أو سيقتل رجلين حقاً .
ولكن هذا ليس بأمر ذى بال ، دعه يقتل أحدنا أولاً ،
خذنى وألبسنى [١] . دعه يبرز لى .
أقبل يا غلام واتبعنى . هلم يا سيدى الغلام . اتبعنى .
فإنى سائطك من عليائك فرديك[٢]
أى والله إنى لفاعل ، فعلة الرجل المهذب الشريف .

ليوناتو : أخى . . .

أنطونيو : هدئ روعك . الله يعلم كم أحببت ابنة أخى .
فجاء الكيد الخسيس فقتلها . كيد الأوغاد اللئام ،
فليجرؤ على الخروج لرجل ،
جرأتى على الإمساك بثعبان من لسانه ،
يا للصبيان ، ويا للقردة ، ويا للمتباهين ،
والمهاذير والبله الأغبياء الضعفاء . .

ليوناتو : أخى أنطونيو . . .

---

(١) يظهر أن هذا مثل كان معروفاً فى تلك الأيام ، وهو مركب من فعلين من أفعال الأمر يبدأ كل منهما بحرف (W) ويقابلها فى العربية حروف « و » .
ولعله يقال فى معرض « التحدى » أى أن كنت ماهراً فلتجرب أولا كيف تنالنى ، ثم افعل بى بعد ذلك ما تشاء .

(٢) فى الأصل جاء شكسبير هنا باصطلاح كان معروفاً يومئذ فى فن اللعب بالسيف ولعل المراد به من موقف التحصن الفنى الذى ستقفه وهى تهكم من أنطونيو ببراعته .

أنطونيو : لا تثر . . . تكلم يا رجل ، إنى أعرفهم .
وأعرف موازينهم ، وأقدارهم ، إلى أصغر أجزائها .
إنهم غلمة مغرورون صفيقو الوجوه ،
إخوان حذلقة وزخرف ،
كل همهم الكذب والمين والسخرية والدس والكيد ،
إنهم ليمشون بين الناس مهرجين ،
ويكثرون من التهديد والوعيد .
ويتحدثون عن شجاعتهم فى منازلة الخصوم ،
ومقارعة الأعداء إذا جرءوا على لقائهم ،
هذا هو كل ما عندهم .
ليوناتو : ولكن يا أخى أنطونيو . . .
انطونيو : لا تراع . ولا تتدخل . دعنى لهذا الأمر وحدى .
دون بدرو : أيها السيدان . . . لن نستفزكما .
إن فؤادى لمحزون لموت ابنتك .
ولكنى أقسم بشرفى أنها لم تتهم ،
إلا بما وقع حقًّا ، وقام عليه الدليل القاطع .
ليوناتو : مولاى ! مولاى !
دون بدرو : لن أستمع لك .
ليوناتو : لن تستمع لى . هلم يا أخى . سأعرف كيف أسمعهما قولى !

أنطونيو : وسيستمع أو ليهلكن بعضنا لهذا السبب

(يخرج ليوناتو وأنطونيو)

دون بدرو : انظر . انظر ! ها هو ذا الرجل الذى كنا نبحث عنه .

(يدخل بنيديك)

كلوديو : ما وراءك يا سنيور ؟

بنيديك : طاب يومك يا مولاى .

دون بدرو : مرحباً يا سنيور . لو تقدمت لحظة لكدت تشترك فى مبارزة .

كلوديو : لقد كدنا نفقد أنفينا فى مجالدة مع شيخين ترمت أسنانهما .

دون بدرو : ليوناتو وأخوه . فما رأيك . أحسبنا أن فعلنا ، أصغر من أن نقاتلهما . . .

بنيديك : لا كرامة ولا منّة فى معركة ظالمة . لقد جئت أبحث عنكما .

كلوديو : لقد بحثنا عنك فى كل مكان لأننا مكتئبان أشد الاكتئاب. ونريد أن تطرد الهم عنا . فهلا استخدمت فكاهتك ؟

بنيديك : هى فى غمد سيفى . فهل أسحبه ؟

دون بدرو : أتضع عقلك فى جنبك ؟[1]

كلوديو : ما فعلها أحد من قبل . وإن رأينا خلقاً كثيرين قد اطرحوا عقولهم جانباً .

(١) يبدو من لحظة دخول بنيديك أنه جاء غاضباً يريد الاحتكاك بكلوديو وهو هنا يتحدث عن سيفه ولكن الأمير اتخذ الأمر هزؤاً . فمضى يسأله متهكماً هل وضع عقله فى جنبه أى حيث يضع السيف .

ولكنى قائل لك ما أقول لجماعة العازفين والمنشدين ،
اسحب لتطربنا[١] .

دون بدرو : فى الحق إنه ليلوح شاحب الوجه .
أمريض أنت أم مغضب ؟

كلوديو : ماذا بك . الشجاعة يا رجل ! ولئن قتل الهم الهرة ،
فلا يزال لديك قدر من خفة الروح يكفى لقتل الهم[٢] .

بنيديك : إذا أنت وجهت فكاهتك إلىّ ،
فإنى ملاق الطعنة السريعة بمثلها أو أشد .
أناشدك أن تختار موضوعاً غير هذا .

كلوديو : بل اعطوه رمحاً آخر فقد انكسر بالعرض رمحه[٣]

دون بدرو : وحق هذا النهار[٤] إن لونه يزداد امتقاعاً .
أحسبه فى سورة غضب شديد .

---

(١) أى اسحب آلة العزف من صندوقها أو كيسها لتعزف ، وهذا رد ساخر من قول بنيديك أنه سيسحب السيف من قرابه .

(٢) فى أمثال الإنجليز . كم قتل الهم هرة . كناية عن مبلغ أذى الهم وأثره فى النفوس ، ولكن كلوديو هنا قلب المثل والمعنى أن خفة روحك كفيلة بقتل الهم .

(٣) إذا انكسر رمح مبارز من عرضه كان هذا عيباً ومذمة له ولكنه إذا انكسر نصله طولا فلا بأس وكل هذه استعارات من المجالدة بالرمح والسيف يريد كلوديو منها أن بنيديك منهزم أمامه .

(٤) قسم مألوف فى تلك الأيام . وهو اقتصار من قسم آخر ، ونعنى به وحق الضياء الذى خلقه الله .

كلوديو : إن كان كذلك . فهو يعرف كيف يقلب حزامه(١) .

بنيديك : هل تسمح لى بهمسة فى أذنك ؟

كلوديو : حمانى الله من المشاجرة !

بنيديك : (منتحياً بكلاوديو ناحية) — أنت وغد، أقولها جداً لا هزلاً ؛

وسأدلل على صحتها إن كنت تجترئ . وبأى شيء تجترئ .

وحين تجترئ ، فاقبل هذا التحدى منى .

وإلا أعلنت جبنك . لقد قتلت سيدة كريمة .

وسيقع وزر مماتها على رأسك .

دعنى أسمع منك متى نلتقى .

كلوديو : ليكن ما تريد . سألاقيك حتى أستمتع بمتعة طيبة .

دون بدرو : ماذا ؟ أدعوة إلى مأدبة ، مأدبة !؟

كلوديو : يمين الله ، إنى له شاكر . فقد دعانى إلى رأس عجل ودجاجة .

فإن لم أبرع فى تقطيعهما البراعة كلها

فقل إن سكينى مثلم ولا يقد .

ألن أجد على المائدة أيضاً دجاجة من دجاج الراج(٢) .

---

(١) قلب الحزام إنما يكون عند الاستعداد للشجار أو المبارزة حتى يصبح قفله الأمامى عند ظهر لابسه .

(٢) مهد الأمير بسؤاله « أدعوة إلى مأدبة » لنكتة لاذعة من كلوديو وهى أن خصمه دعاه إلى رأس عجل ودجاجة . ثم مضى مع زرايته به يتابع الاستعارة بالسكين المثلم إذا لم يحسن القطع وخرج من ذلك إلى نكتة أخرى وهى سؤاله خصمه هل سيجد أيضاً على المائدة طائراً آخر .

بنيديك : إن النكتة يا سيدى مسعفتك .

دون بدرو : إنى لمنبئك بما مدحت بياتريس به مجانتك منذ أيام .
قلت لها إنك ذو فكاهة ، قالت حقاً ولكنها قليلة محدودة .
بل عظيمة قالت حقاً عظيمة خشنة .
قلت كلا . بل حسنة رقيقة . قالت تماماً . فلا تؤذى أحداً
قلت كلا إن السيد عاقل حكيم ، قالت هذا صحيح
إنه مدعى الحكمة ادعاء .
قلت إنه ينطق بعدة ألسن[1] قالت هذا ما أعتقده .
فقد حلف على شيء ليلة الاثنين
وحنث فى حلفه صباح الثلاثاء .
هذا لسان مزدوج . أو قل لسانان .
وهكذا لبثت ساعة تشوه مزاياك ،
وانتهت آخر المطاف بقولها وهى ترسل زفرة
إنك أملح رجل فى إيطاليا كلها .

كلوديو : وعندئذ بكت من كل قلبها وقالت إنها لا تحفل بك .

دون بدرو : أجل . هذا ما قالته ، ولكنها قالت مع ذلك
إنها إذا لم تمقته إلى حد الموت
فهى تحبه إلى حد الإعزاز .

---

(١) إشارة إلى معرفته عدة لغات . ولهذا جمعنا اللسان هنا على ألسن لا على ألسنة .

لقد نبأتنا ابنة الشيخ بكل شيء .

كلوديو : بكل شيء ، ولا تنس كذلك أن الله رآه
حين كان مختبئاً في الحديقة[١] .

دون بدرو : ولكن متى ستنبت قرون العجل الوحشي ،
في رأس بنيديك العاقل[٢] .

كلوديو : أي نعم . وضع هذه الكلمات تحت الصورة
« هنا يسكن بنيديك البعل » .

بنيديك : إلى اللقاء يا فتى . أنت عارف ما أقصد .
وإني لتاركك الآن لثرثرتك وفكاهتك السمجة .
إنك لتكسر النكت كما يكسر الأدعياء الثرثارون
سيوفهم . وهي بحمد الله لا تؤذي ولا تجرح .
وأنت يا مولاي . إني لشاكر لك صنائعك الكثر ، ومننك
الغر ، فإني مضطر إلى التخلي عن رفقتك .
إن أخاك النغل قد فر من مسينا .
وقد اشتركتما في قتل سيدة بريئة كريمة .

---

(١) مأخوذ من التوراة في سفر التكوين ، الإصحاح الثالث العدد العاشر وهو قول آدم لربه « سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأني عريان فاختبأت » .

(٢) أي متى سنزوجه . وهو قول أراد به تذكير بنيديك بما قاله عن كراهيته للزواج من قبل .

وأما هذا المولى الأمرد فسألتقى به . .
وإلى أن نلتقى . . . سلام عليكم !

(يخرج)

دون بدرو : إنه يجد .

كلوديو : أشد الجد . أؤكد لك أن هذا مرده إلى حب بياتريس .

دون بدرو : ولقد دعاك إلى المبارزة .

كلوديو : أصدق ما تكون الدعوة .

دون بدرو : ما أحمق الرجل الذى يستر بجسده صداره وجوربه ، ويتجرد من عقله[1] .

كلوديو : وهو فى هذه الحال إذا قيس بالقرد ، عملاق ،
ولكن القرد إذا قيس به ، حكيم[2] .

دون بدرو : ولكن لنكف عن هذا ودعنى أستجمع فؤادى لنأخذ فى

---

(١) أى أنه مجنون فيما يفعل ، وفى الأصل ، الرجل الذى يمشى فى صدار وجورب ويدع العقل عارياً أو يخلع العقل عنه .

(٢) هذه العبارة وسابقتها محيرتان وقد شرحها أحد المفسرين اجتهاداً بقوله ما أعجب حال الرجل الذى يركب حصانه وهو مرتد صداره منتعل حذاءه الطويل . تاركاً عقله مع ردائه المخلوع إنه ليلوح فى هذه الحال بطلا فى عين الأحمق أو الأبله لأن القرد هنا هو المأفون أو العابث المهذار ، ولكن هذا فى الحقيقة وسيلة صالحة أو دواء مفيد يجعله يضحك من نفسه ويتبين حماقته .

ابحد(١) ألم يقل إن أخى قد فر ؟

(يدخل دوجبرى وفارجس والحراس ومعهم كونراد و بوراشيو)

دوجبرى . تعال هنا يا سيد . و إذا لم تقلم العدالة أظافرك . فلن ترجح
كفتها يوماً فى الميزان(٢) .
وإذا كنت يوماً منافقاً شتاماً لعينا ؛
فلابد من النظر فى أمرك .

دون بدرو : ماذا أرى . رجلان من أتباع أخى موثقان .
وهذا بوراشيو أحدهما ؟

كلوديو : إصغ إلى أقوالهما وألق بالك إلى سماع تهمتهما يا مولاى .

دون بدرو : أيها الضباط . ما الذى ارتكبه هذان الرجلان؟

دوجبرى : قسما يا سيدى . لقد شهدا زوراً فضلاً عن قول الكذب ،
وثانوياً(٣) إنهما مفتريان .
و « سادساً » وأخيراً إنهما قالا إفكاً فى حق سيدة . وثالثاً
أنهما قررا أموراً فرية ، وفى الختام
إنهما من الكذابين الأوغاد اللئام .

---

(١) يقصد لنطرح جانباً جميع المسائل الصغيرة ولنتبه إلى مواجهة مسائل خطيرة .

(٢) فى الأصل « إذا لم تروضك العدالة » فلن تحمل فى ميزانها بعد اليوم زبيباً وقد نطقها هذا الجاهل قائلا « أسباباً » لأنها فى الإنجليزية ريزنس والزبيب ريزنس وفى ترجمتها هكذا مناسبة .

(٣) هكذا نطق بها وهو يقصد طبعاً أن يقول « ثالثاً » .

دون بدرو : ألا — أسألك ماذا فعلا ؟ و « ثالثاً » ما ذنبهما ؟ —
و « سادساً » وأخيراً لماذا قبضت عليهما ؟
وفى الختام بأى شىء تتهمهما ؟

كلوديو : أحسنت السؤال . وأجدت التفصيل على الطريقة ذاتها ،
والحق أنك أتيت بالمعنى الواحد فى عدة صور .

دون بدرو : إلى من أسأتما أيها السيدان حتى ربطوكما بأقوالكما[1]
على هذا النحو ؟
إن هذا الشرطى العالم لأعلم من أن يفهم . نبئانى ماتهمتكما .

بوراشيو : أيها الأمير الكريم . لا تدعنى أمعن فى القول واستمع لى
وأذن للكونت فى قتلى .
لقد أضللت عينيك ذاتهما ، ولكن ما عجزت حكمتك
عن كشفه ، قد فضحه هؤلاء المعاتيه السذج ،
فقد استرقوا علينا السمع ليلا ، وأنا أعترف لصاحبى هذا
بأن أخاكم دون جون حرضنى على الوشاية بالسيدة هيرو .
وكيف سيق بك إلى الحديقة فرأيتنى أتغزل فى مرجريت
وهى فى زى هيرو .
ومضيت تشهر بها بينما كان عليك أن تراها زوجاً .
وقد دوّن هؤلاء الأشراط تفاصيل جنايتى .

---

(١) تعبير جميل عن تقييدهما هكذا .

وإنى لأوثر أن أختمها بموتى ،
على ما ينالنى من العار بترديدها .
لقد ماتت السيدة نتيجة فعلتى ، وفرية سيدى ،
ولست أبغى غير جزاء الوغد الأثيم لى عقاباً .

دون بدرو : ألا يجرى هذا القول كنصل السيف فى دمك ؟

كلوديو : لقد كان سمًّا شربته وهو يفوه به .

دون بدرو : ولكن هل أخى هو الذى حرضك على هذا الجرم ؟

بوراشيو : نعم . وأجزل لى العطاء على تنفيذه .

دون بدرو : لقد طبع على الغدر وركبت الخسة فيه .
وها هو ذا قد فر عقب أن اقترف جريمته .

كلوديو : أواه . يا هيرو المحببة . إن صورتك لتبدو الساعة
فى تلك المعالم النادرة التى أحببتها أول مرة .

دوجبرى : هلموا عودوا بالمجرمين . ولا بد أن يكون كاتبنا قد أبلغ [١]
السنيور ليوناتو الآن بجلية الأمر وأنتما يا سيدان، لا تنسيا
فى الوقت والمكان المناسبين أن تقررا أنى ... حمار ...

فارجس : ها هو ذا السيد السنيور ليوناتو قادم، والكاتب أيضاً ...

(يدخل ليوناتو وأنطونيو ومعهما الكاتب)

---

(١) انظر إلى قوله « كاتباً » فهى على هذا التفخيم مضحكة وقد نعلق بكلمة « أبلغ » informed محرفة فقال أى أصلح .

ليوناتو : أيها الشقى الأثيم . . . دعونى أر عينيه ؟
لكى أتحاشى من يشبهه ،
إذا التقيت به . أى هذين الرجلين هو؟ . .

بوراشيو : إن أردت أن تعرف الذى بغى عليك فانظر إلىّ .

ليوناتو : أأنت العبد الذى قتلت « بوشايتك »[1]
ابنتى البريئة الطاهرة ؟

بوراشيو : نعم أنا وحدى .

ليوناتو : كلا . ليس الأمر كذلك أيها الشقى . إنك لظالم لنفسك
فهاهما هذان سيدان شريفان ،
ومعهما ثالث لاذ بأذيال الفرار .
إنى أيها الأميران لشاكر لكما مصرع ابنتى ،
فلتدوّناه فى سجل مآ ثركما المجيدة السامية .
لقد فعلتماه بشجاعة إذا كنتما تذكرانه .

كلوديو : لست أدرى كيف أطلب إليك صبراً .
ولكن لا مفر لى من الكلام . فلتختر بنفسك وسيلة ثأرك ،
وافرض علىّ ما يبتكره خيالك من عقاب[2] ،
جزاء الذنب الذى اقترفته .
وإن كنت لم أقترفه إلا عن خطأ .

(١) فى الأصل بأنفاسك والمعنى بأقوالك وشايتك .
(٢) فى الأصل ما تبتكره أو نحو ذلك .

دون بدرو : ونفسي التي بين جنبيّ . إنني أيضاً قد اقترفته عن خطأ.
ولكني مرضاة لهذا الشيخ الكريم ،
مُتَقَبِّل أي عقاب هو فارضه .

ليوناتو : ليس في إمكاني أن أطلب إليكما أن تردا
ابنتي إلى الحياة لأن هذا مستحيل .
ولكني أناشدكما أن تعلنا على الملأ في مسينا
أنها ماتت طاهرة الذيل .
وإنْ هَدَاكما وحي الشاعرية إلى مرثية ،
فعلقاها على قبرها ؛ وغنياها لعظامها . أنشداها الليلة .
فإذا كان صبح الغد فتعاليا إلى داري.
وما دمت لا تستطيع أن تكون لابنتي زوجاً ،
فلتكن زوجاً لابنة أخي ،
فإن لأخي ابنة — تكاد تكون صورة أخرى لفقيدتي .
وهي وريثتنا الوحيدة أنا وأخي[1]
فاخلع عليها من الحقوق ،
ما كنت موشكاً أن تخلعه على ابنة عمها .

---

(١) لعل هذا سهو من شكسبير فقد نسي أن لأنطونيو ولداً كما أورد في المشهد الثاني من الفصل الأول على لسان ليوناتو حين سأل أخاه « وأين ابن أخي ولدك» . أو لعل هذا الولد مات بعد ابتداء القصة فأصبحت ابنة أخيه هي الوريثة دون سواها. أو لعله مجرد إغراء وإن لم يكن صحيحاً .

وكذلك تزول ترتى[1] وتشفى موجدتى ،

كلوديو : أيها السيد الكريم :
إن حنانك البالغ لينتزع من عينىّ الدمع انتزاعاً ،
وإنى لمتقبل ما عرضت ،
فافعل بعد الآن بكلوديو المسكين ما أنت فاعله .

ليوناتو : وإذن فإننى مرتقب غداً مقدمكما .
وأما الليلة فأستأذنكما ،
وسنواجه هذا الرجل الخبيث بمرجريت
التى أعتقد أنها وُرِّطت فى هذا الإثم
الذى استأجرها أخوك له .

بوراشيو : كلا . ونفسى التى بين جنبى إنها لم تشترك فيه ،
ولم تُوَرَّط ولم تكن تعرف شيئاً حين كلمتنى ،
وعهدى بها أبداً الوفية الفاضلة .

دوجبرى : وفضلا عن هذا يا سيدى ،
إن هناك شيئاً آخر لم يسجل فى كتاب ،
وهو أن هذا الجانى[2] الماثل أمامكما سمانى حماراً ،
ورجائى أن تذكروا ذلك عند تقرير عقوبته .

---

(١) ترة على وزن سنة من الأسن هى السبب الموجب للثأر أو الموجدة .

(٢) سماه فى الأصل « الشاكى » كما وصفه هو وزميله كذلك فى موضع سابق .

وقد سمعهما الحرس أيضاً يتحدثان
عن شخص يدعى « المشوه » .
ويقولان إنه يلبس « مفتاحاً » فى أذنه
ويعلق قفلاً به[١] .
ويستقرض الناس باسم الله ويكرر القروض ولا يردها ،
حتى قست قلوب الناس فلم يعودوا يقرضون الله شيئاً .
أناشدكما أن تبحثا فى هذه النقطة .

ليوناتو : أشكر لك عنايتك وهمتك .

دوجبرى : إن سيادتك تتكلم كأحسن الشباب ،
شكراً وتقديراً وأنا أحمد الله إليك .

ليوناتو : خذ جزاء عنائك .

دوجبرى : ليبارك الله لصاحب هذا البيت[٢]

ليوناتو : اذهب وأنا معفيك من سجينك وشاكر لك .

دوجبرى : إننى تارك لديك شقياً ضالاً . وأرجو أن تقتص
لنفسك منه ليكون عبرة لغيره .

---

(١) وردت هذه الحكاية فى الفصول السابقة حين ظن الحارس أن كلمة « المشوه » هى اسم شخص معين . ورتب على هذا الظن معرفته للص يسمى بهذا الاسم ذاته .

(٢) نطق هنا بكلمة foundation أى الأساس ولكن المعنى هو ما أوردناه أى المؤسس أو رب البيت ، وقد كان من عادة المتسول إذا أعطى صدقة وهو عند باب الكنيسة أن يدعو لمنشئها بالخير .

ليحفظك الله . وأتمنى لك الخير . ورد الله إليك العافية .
وبكل خشوع أستأذنك فى الانصراف[1].
وأدعو الله أن أراك فى أحسن الأوقات . هلم بنا أيها الجار .

(يخرج دوجبرى وفارجس)

ليوناتو : وداعاً أيها المولیان إلى صباح غد .

أنطونيو : وداعاً أيها السادة ، إننا فى انتظاركما غداً .

دون بدرو : لن نتخلف .

كلوديو : سأقضى الليلة فى التفجع والأسى على هيرو ،

ليوناتو : (إلى الحرس) سيروا بهذين
الرجلين حتى نتحدث إلى مرجريت ،
لنعلم كيف عرفت هذا الوغد الأثيم .

(ينصرفون)

---

(١) كل هذه العبارات جاءت منه محرفة وكلها أغلاط فى مبناها . حتى فى كلمة أستأذنك . قالها أعطيك الأذن فى الانصراف . وقوله أدعو الله تبدو أقرب إلى قولة « العياذ بالله » أو أرجو الله أن يمنع ذلك .

المنظر الثانى

حديقة دار ليوناتو

يدخل بنيديك ومرجريت فيلتقيان(١)

بنيديك : أرجوك يا عزيزتى مرجريت أن تسدينى صنيعاً ولك عليه أحسن الجزاء . أعينينى على التحدث إلى بياتريس .

مرجريت : هل ستكتب لى أغنية تتغزل فيها بجمالى إن أنا فعلت ؟ . .

بنيديك : فى أبدع أسلوب لا يأتى إنسان بشىء فوقه يا مرجريت ، لأنك والحق يقال ، تستحقين هذا المديح.

مرجريت : أتقول إن إنساناً لن يأتى بشىء فوقى . . . يعنى أننى سأظل دائماً تحت السلم(٢) .

---

(١) هذا المنظر لم يكن ضرورياً ولكن شكسبير جاء به للانتفاع بالفترة التى ستسبق زيارة دون بدرو وكلوديو « قبر » هيرو تلبية لدعوة أبيها . وفى هذا المشهد يلتقى بنيديك بمرجريت فيطلب إليها أن تدعو بياتريس . وعندئذ يبدأ بين هذين العاشقين حوار بديع ندرك منه مدى تطور العلاقة بينهما .

(٢) أخذتها الجارية على معنى آخر ، فقالت هل سأبقى خادماً « أى تحت السلم » فلا تزوج فى يوم من الأيام .

بنيديك : إن النكتة لديك سريعة كفم كلب الصيد.حين يلقط...[١]

مرجريت : ونكتتك مثلمة « كسيف » اللاعب .
تصيب ولكن لا تجرح .

بنيديك : نعم النكتة وما أخلقها أن تصدر من رجل يا مرجريت ،
إنها لن تجرح امرأة ،
ولهذا أناشدك أن تنادى بياتريس . إننى أسلم لك دروعى .

مرجريت : هات لنا السيوف ، فلدينا دروعنا[٢] .

بنيديك : إذا استخدمتها يا مرجريت فاربطى الرماح بالمنجلة لأنها أسلحة خطرة على الفتيات[٣] .

مرجريت : سأدعو لك بياتريس . إن لها ساقين تسير عليهما .

بنيديك : ومن أجل هذا ستجىء .
(يغنى) يا إله الحب ، يا من تجلس فى عل ،
أنت العليم بأنى للشفقة مستحق . . .[٤]

---

(١) أى تلتقطين النكتة بالسرعة ذاتها التى يلتقط بها كلب الصيد الأرنب وهو يطارده .

(٢) أى أنها أحسن ما تكون النكتة من رجل لأنها تجرح امرأة وقوله لها « إننى أسلم دروعى » استعارة يريد بها أن يقول إنه منهزم أمام مكنتها وكان ردها أن لدينا دروعاً ولكن ليست لدينا السيوف فهى التى تنقصنا معاشر النساء .

(٣) أى بمسمار محدى لكيلا يحدث أذى .

(٤) هذا مطلع أغنية قديمة لا شك فى أنها كانت معروفة تغنى على المسارح فى عهد المؤلف وقد وضعها ويليام الدرتون ولم يبق منها اليوم غير قطعة تسمى « شكوى آثم » .

أعنى فى الغناء .
أما فى الحب فإن لياندر[١] السباح الماهر ،
وترويلاس[٢] أول من استعان فى الهوى بالرسل والوسطاء ،
وسائر معاشر الفرسان الجلوس على الأبسطة[٣] ،
وتجار الكلام الذى تملأ أسماؤهم كتاباً كاملاً ،
وتجرى سهلة هينة فى طريق الشعر المرسل . .
فلم يغلبهم الحب على أمرهم ، قدر ما غلبنى —
ولم يستحوذ عليهم مثل ما استحوذ على خاطرى .
يميناً إننى لعاجز عن وصف حبى شعراً :
ولطالما حاولت فلم أجد فى القوافى كلمة ،
على وزن « سيدة » غير « وليدة » ،

---

(١) لياندر عاشق هيرو كاهنة فينوس ربة الجمال وكان من عادته أن يسبح ليلا لزيارتها ثم يعود قبل مطالع النهار . ولكنه فى ذات ليلة والريح عاصفة هلك فى سبيل تنفيذه عهده وهو زيارتها كل ليلة . وقد ألقى اليم بجثته على الساحل فلم يكن من حبيبته هيرو إلا أن وثبت إلى اليم فكانت من المغرقين .

(٢) أحد أبناء الملك بريام عاهل طروادة وقد أحب كريسيدا ابنة الكاهن كالشاس وهى ألمانية أسرها الطرواديون. وقد استعان على التعرف بها بعمه بانداراس ومن هناك الوسيط بين الرجل والمرأة .

(٣) غمزة فى الفرسان الذين يجلسون فى الأبهاء وقاعات الجلوس المفروشة بالبسط يتحدثون عن فعالهم والوقائع التى خاضوها . وإن كان مكانهم المعارك وميادين القتال .

ولا وقعت من الأوزان الصادقة غير المتكلفة للفظة « سخرية »
إلا على « قرون ملتوية » ،
ولا لكلمة « مدرسة » غير « ذى لوثة »،
إن الشعر لملعون الخواتيم ،
كلا لا أحسبنى ولدت وفى طالعى أنى سأكون ناظماً
للقوافى ، ولا أنا على الغزل بالكلام المنمق قدير[١] .

(تدخل بياتريس)

بنيديك : يا عزيزتى بياتريس – أرضيت المجىء حين دعوتك ؟
بياتريس : نعم يا سنيور ، وسأنصرف حين تأمرنى .
بنيديك : أواه ، فلتمكثى إلى هذا الحين[٢] .
بياتريس : لقد قلتها ، فوداعاً الآن ،
ولكن قبل أن أذهب دعنى أنصرف بالذى جئت له ،
وهو أن أعرف ما الذى جرى بينك وبين كلوديو .
بنيديك : كلمات كريهة ليس أكثر . وعليها سأقبلك .
بياتريس : الكلمات الكريهة كالريح الكريهة ، والريح الكريهة
إن هى إلا الأنفاس الكريهة ، وهذه خبيثة مستكرهة .

---

(١) يصف شكسبير هنا العناء الذى يجده فى الاهتداء إلى كلمات تصلح للقوافى والرد وهو فى هذا يأتى بكلام لطيف ليخرج منه إلى القول بأنه لم يولد شاعراً .
(٢) أى حتى آمرك .

وهذا سأنصرف من غير أن أُقبّل .

بنيديك : لقد أخفت الكلمة ذاتها فأخرجتها من عقلها[١] ،
إن فكاهتك لقوية شديدة . ولكنى مصارحك الحقيقة :
إن كلوديو مرتبط بالتحدى الذى وجهته إليه ،
فإما أن أتلقى قريباً جوابه ، أو أعلن أنه نذل جبان ،
والآن أناشدك أن تنبئينى أى
مساوئ حملتك أولا على حبى ؟

بياتريس : كلها مجتمعة ، فقد احتفظت بحال من السوء جعلها
لا تقبل أية حسنة تختلط بها .
وأنت خبرنى أى محاسنى حملك أولاً
على أن « تعانى » حبى ؟

بنيديك : « أعانى » الحب ! . كلام جميل . إننى أعانى الحب حقاً
لأننى أحبك رغم إرادتى .

بياتريس : على كره من قلبك . . . وا أسفاه لهذا القلب المسكين . .
إذا كنت له كارهاً من أجلى . فإنى له كارهة من أجلك .
لأننى لن أحب أبداً ما يكرهه صاحبى .

بنيديك : أنا وأنت من فرط العقل بحيث لا نقدر على غزل رقيق .

بياتريس : ولكن هذا العقل المفرط لا يبدو فى هذا الاعتراف ،

---

(١) أى من معناها الأصلى .

ولن تجد بين عشرين رجلا ،
رجلا واحداً يمدح نفسه كما فعلت .

بنيديك : تلك حكمة قديمة ، جد قديمة يا بياتريس ، وجدت حين كان الناس صالحين لا يحسد بعضهم بعضاً ، إن المرء إذا لم يبن الآن قبره قبل مماته ، فلن يحيا فى الذاكرات أطول أمداً مما يستغرقه دق النواقيس بنعاته ، وبكاء الأرملة لوفاته .

بياتريس : وكم يطول هذا فى ظنك ؟

بنيديك : هذا هو السؤال ، ساعة فى دق أجراس ورنين ، وبعض ساعة فى بكاء وأنين ، فمن الخير للعاقل أن يعلن عن فضائله كما أعلن أنا عنها ، وذلك إذا لم يحل شىء بين الإنسان طعمة الديدان[1] وبين هذا الإعلان .
— وحسبى هذا فى مديح نفسى الجديرة
فى شهادتى لها بكل مديح وثناء .
والآن نبّئينى كيف حال ابنة عمك ؟

(١) أحد المسميات الغريبة التى أولع شكسبير بابتكارها . وقد مرت بك منها أمثلة ، وهو هنا يسمى الإنسان « دن ويرم » أى السيد دودة وقد رأينا أن نجعلها كما ترى « طُعمه الديدان » كأحسن تسمية للإنسان .

بياتريس : جد عليلة .

بنيديك : وكيف حالك أنت . . .

بياتريس : جد عليلة كذلك .

بنيديك : اتقى الله وأجيبيني واسأليه لنفسك صلاحاً ،
والآن أتركك لأني أرى إنساناً قادماً نحونا مسرعاً .

(تدخل أورسولا)

أورسولا مولاتي — تعالى إلى عمك ، إن في البيت حركة
قلما شاهدت مثلها .
لقد ثبت أن مولاتي هيرو قد اتُّهمت زوراً وبهتاناً ،
وأن الأمير وكلوديو ضلا ضلالاً مبيناً ،
وأن دون جون أسّ هذا البلاء كله قد فر هارباً .
هلمي إليه في الحال .

بياتريس : ألا تأتي لتسمع هذا النبأ يا سنيور .

بنيديك : سأحيا في قلبك ، وأموت في حجرك ، وأدفن في عينيك ،
وإلى جانب هذا كله سأذهب معك إلى عمك .

(يخرجون)

المنظر الثالث

في الكنيسة

يدخل دون بدرو وكلوديو وثلاثة أو أربعة
يحملون شموعاً

كلوديو : أهذه هي مقبرة آل ليوناتو ؟

أحدهم : نعم يا مولاى .

كلوديو : (يقرأ فى رق مسطور)

« ذهبت ضحية ألسنة السوء ،
هيرو التى ترقد فى هذا المكان ،
فإن الموت إنصافاً لها من الظلم الذى حاق بها ،
قد وهبها مجداً لن يموت .
وكذلك راحت الحياة التى ماتت بعار
تحيا فى الموت بمجد وفخار .
قفوا على هذا القبر وترحموا عليها .
واذكروا محاسنها . إذا انعقد لسانى فلم أجد كلاماً .

ويا أيتها الموسيقى اعزفى واصدحى سلاماً
وانشدى أغنيتك المقدسة لحناً وأنغاماً . . . » .

أغنيـــة

يا ربة الليل[1] صفحاً وغفراناً
للذين قتلوا فارستك العذراء[2] ؛
وجاءوا من حول قبرها طائفين
ليغنوا غناء المكروب الحزين
ويا أيها الليل البهيم أعنا على الأنين .
وحسرات المتحسرين .
ويا قبور تثاءبى ، والفظى موتاك
إلى أن يُنادَى بالموت مهزوماً مدحوراً .

كلوديو : والآن طاب ليل أعظمك ، وإنى لمعاهدك
أن أقف كل عام وقفتى هذه بقبرك .

دون بدرو : طاب صباحكم أيها السادة ، أطفئوا مشاعلكم .
إن الذئاب قد فرغت من الفتك بفريستها ، وانظروا ،

---

(١) هى ديانا ربة العفاف والصيد . وكانت تدعى أيضاً ربة القمر .

(٢) أى هيرو التى أصبحت بعد موتها بفضل عفافها « فارسة » فى خدمة ديانا .

إن الصبح حول مراكب فيبوس طائف[1]
يرقط المشرق الوسنان ببقع شهب .
شكراً لكم جميعاً . واتركونا . . وداعاً .

كلوديو : طاب نهاركم أيها السادة ، وليأخذ كل منكم سبيله .

دون بدرو : هلم بنا من هذا المكان . لنرتدى ثياباً غير هذه الثياب ، ونذهب إلى دار ليوناتو .

كلوديو : ويا إله القران . أسرع بنا الآن إلى حظ أسعد من الذى . ثنا نؤدى له هذه التحية محزونين .

(يخرجون)

(١) إشارة إلى الاله فيبوس وهو يقود مركبة الشمس كل يوم من المشرق إلى المغرب ، وقد سبقت هذه العبارة عبارة أخرى وهى أن النهار قد طلع والذئاب قد انتهت من الفتك بفريسانها لأنها لاتهاجم إلا ليلا .

المنظر الرابع

في إحدى حجرات دار ليوناتو

يدخل ليوناتو وأنطونيو وبنيديك وبياتريس
ومرجريت وأورسولا والقس فرانسس وهيرو

القس : ألم أقل لك إنها بريئة ؟ . .

ليوناتو : وكذلك الأمير وكلوديو اللذان اتهماها
على أساس الفرية التي سمعتنا نتحدث عنها .
ولكن بعض الذنب واقع على مرجريت في هذا الأمر
وإن أتى على غير إرادتها .
كما يبدو من مجرى التحقيق وتتابعه .

أنطونيو : إنني لمغتبط بأن الأمر انتهى بخير .

بنيديك : وأنا كذلك . وإن كنت براً بعهد عاهدته
قد دعوت الفتى كلوديو إلى الحساب على فعلته .

ليوناتو : والآن . يا ابنتي ، ويا أيتها السيدات كلكن ،
اذهبن فانفردن بأنفسكن في حجرة أخرى .

وحين أدعوكن ، تعالين مخفيات وجوهكن .

(تخرج النساء)

لقد وعدنى الأمير وكلوديو أن يزورانى فى هذا الموعد

وأنت يا أخى تعرف الدور الذى ستضطلع به .

وهو أن تكون أباً لابنة أخيك .

وتسلمها للفتى كلوديو .

أنطونيو : وإنى لفاعل ذلك قوى العزيمة مطمئناً .

بنيديك : أيها القس . أرانى مضطراً إلى طلب معونتك .

القس : وماذا تريد أن أفعل يا سيدى ؟

بنيديك : أحد أمرين ، إما أن تربطنى أو تفكنى (١)

الحق يا سيد ليوناتو الكريم

إن ابنة أخيك تنظر إلىّ بعين الرضى .

ليوناتو : إن هذه العين هى التى أعارتها إياها ابنتى .

هذا هو الحق المبين .

بنيديك : وأنا بعين الحب أؤدى حقها علىّ .

ليوناتو : أحسبنى أنا الذى أخذت بصر هذه العين منه ،

كما أخذته من كلوديو والأمير (٢) ولكن ما مشيئتك ؟

(١) أى تزوجنى بياتريس أو لا تزوجنى .

(٢) أى الفضل لنا نحن الثلاثة فى هذا الأمر إشارة إلى ما فعلوه بالحيلة فى سبيل تحبيب بياتريس وتحبيبه إليها كما مر بك .

بنيديك : إن جوابك يا سيدى كاللغز مستغلق .
أما عن مشيئتك فهى مشيئتك ،
وهى أن توافق على ارتباطنا اليوم
برباط قران شريف لا عائب عليه ولا ذام ،
وأرجو منك أيها القس التقى المعونة عليه .

ليوناتو : إن قلبى معك .

القس : ومعونتى لك .
ها هوذا الأمير وكلوديو قادمان .

(يدخل دون بدرو وكلوديو واثنان أو ثلاثة آخرون)

دون بدرو : صباحاً مباركاً لهذا الجمع الكريم .

ليوناتو : صباحاً أيها الأمير وعم صباحاً يا كلوديو .
إننا هنا فى انتظاركما..ألا تزال معتزماً
الاقتران اليوم بابنة أخى ؟ .

كلوديو : سأبر بعهدى ، ولو كانت حبشية .

ليوناتو : ادعها يا أخى . وها هوذا القس على استعداد

(يخرج أنطونيو)

دون بدرو : عم صباحاً يا بنيديك . ما خطبك
ومالى أرى وجهك كأنه فى شهر فبراير ،

يلوح بارداً قاتماً مليئاً بالجليد والعواصف والسحب الثقال ؟

كلوديو : أحسبه يفكر فى الفحل الهائج
ولكن اطمئن يا رجل ولا تخف ،
فسنُغطى طرفى قرنيك بالذهب .
ونجعل « يوروبا » بأسرها تلهو بك ،
كما لهت يوروبا من قبلك بجوبيتر الشديد البأس ،
حين تمثل الوحش الكريم فى الحب[1] .

بنيديك : ولكن الفحل جوبيتر يا سيدى كان له خوار رفيق ،
وأما أنت فإن فحلاً غريباً وثب على بقرة أبيك ،
فأولدها بهذه الفعلة الكريمة عجلا
أشبه شىء بك لأن لك عين ثغائه .

كلوديو : هذه واحدة سأحاسبك عليها .
وها هى ذى أمور تتطلب التسوية .

(يعود أنطونيو والسيدات وهن مقنعات)

أيهن الغانية التى ستكون لى ؟

أنطونيو : ها هى ذى . وأنا واهبك إياها .

كلوديو : إنها إذن لى . . . دعينى أنظر محياك أيتها الحسناء .

---

(١) إشارة إلى أن الخصومة التى بينه وبين كلوديو لا تزل قائمة ولهذا بدأ بنيديك متجهماً فى وجه كلوديو .

ليوناتو : كلا . لن تفعل حتى تتناول يدها
أمام هذا القس فتقسم أنك لمقترن بها .

كلوديو : هاتى يدك . وأمام هذا القس الموقر ،
أنادى أننى زوجك إن رضيت بى زوجاً .

هيرو : (تحسر القناع عن وجهها) ، يوم كنت بين الأحياء ،
كنت زوجك الأخرى ،
وحين أحببت ، كنت زوجى الآخر .

كلوديو : أهيرو أخرى . . . ؟

هيرو : لا شىء أكثر توكيداً ،
واحدة قضت بالإفك مدنسة ، أما أنا فأعيش ،
ولا ريب فى أنى عذراء كما لا ريب فى أنى من الأحياء .

دون بدرو : هيرو الأولى ! هيرو التى ماتت !

ليوناتو : لم تمت يا مولاى إلا حين كانت الفرية حية .

القس : سأزيل هذه الحيرة كلها
حين انتهى من مراسم القران المقدسة ،
وسأشرح باستفاضة سر موت هيرو الحسناء .
فدعوا العجب فى هذه الساعة ، واحسبوه من الأمور المألوفة
وهلموا بنا من فورنا إلى الكنيسة .

بنيديك : مهلاً أيها القس . مهلاً . أيهن بياتريس ؟ . .

بياتريس : (حاسرة) هذا هو اسمى . فماذا تريد ؟

بنيديك : ألا تحبيننى ؟

بياتريس : كلا . ليس أكثر مما أحب العقل والحجى

بنيديك : عجباً . لقد كان عمك والأمير وكلوديو
مخدوعين حين أقسموا أنك تحبيننى .

بياتريس : ألست تحبنى ؟

بنيديك : فى الحق . كلا . ليس أكثر مما أحب العقل والحجى .

بياتريس : عجباً . لقد كانت ابنة عمى ومرجريت وأورسولا
مخدوعات كثيراً ، لأنهن أقسمن أنك تحبنى .

بنيديك : لقد أقسمن بأنك فى حبى مدلهة أو تكادين .

بياتريس : وقد حلفن أنك تكاد من حبى تفارق الحياة .

بنيديك : لا شىء من هذا القبيل . إذن أنت لا تحبيننى . .

بياتريس : فى الحق لا ، ولكن حب الصديق للصديق .

ليوناتو : دعى عنك هذا يا ابنة أخى . إنى لعلى يقين
بأنك تحبين السيد الكريم .

كلوديو : وأنا أقسم أنه يحبها ،
وها هى ذى ورقة بخط يده ،
تحوى أغنية متكلفة فاضت بها قريحته ،

موجهة إلى بياتريس .

هيرو : وها هو ذا كتاب آخر
بخط ابنة عمى سرق من جيبها ،
تصف فيه حبها لبنيديك .

بنيديك : يا للمعجزة ! . . هاتان يدانا تشهدان على قلبينا . . .
اقبلى . فإنى آخذك .
ولكن بحق هذا النهار إنى آخذك إشفاقاً عليك .

بياتريس : لست أرفض سؤلك . ولكن وحق هذا النهار المضىء ،
إنى ما رضيت بك إلا بعد حض كثير .
ولكى أنقذ حياتك ، فقد نُبِّئت أن الحب أضناك .

بنيديك : حسبك . . . سأغلق فمك . (يقبلها)

دون بدرو : ماذا صنعت بنفسك يا بنيديك الزوج . . . ؟

بنيديك : سأشرح لك أمرى أيها الأمير . قل لو اجتمع علىّ حشد
من محترفى الفكاهة ليسخروا منى ،
ويستنفرونى مما أريد لما استطاعوا أن ينالوا من مأربهم شيئاً .
هل تحسبنى أحفل بهجو شاعر ، أو سخرية ساخر ؟
كلا ، إذا المرء استخذى لقول القائلين
وفكاهة الفكهين ، فلن يجد حوله شيئاً جميلا .

وجملة القول إننى ما دمت قد أردت الزواج
فلن آبه بما يقول الناس فيه .
ولهذا لا تعبث بى ولا تذكرنى بما قلت عنه كارهاً له ،
فقد خلق الإنسان حوّلا قلّباً ،
وهذا هو كل ما عندى قلته .
وأما أنت يا كلوديو فقد كنت معتزماً أن أقتلك ،
ولكن ما دمت ستصبح لى نسيباً ،
فعش سالماً وكن بابنة العم مغرماً .

كلوديو : لقد كنت أرجو أن تأبى على بياتريس ،
لكى أنتزع منك حياة الأعزب انتزاعاً ،
وأجعلك مرائياً ذا وجهين . وأنك بلا ريب لتصبح كذلك
إذا لم تشدد ابنة العم الرقابة عليك .

بنيديك : حسبك . حسبك . إننا اليوم صديقان ،
فلنستمتع برقصة قبل القران .
لنُخَفّف عن قلوبنا وأعقاب زوجاتنا .

ليوناتو : سيأتى الرقص بعد .

بنيديك : يميناً ليكونن أولاً . أيها الموسيقيون اعزفوا .
وأنت أيها الأمير أراك ساهماً . فاتخذ لك زوجاً .
اتخذلك زوجاً .

فما رأينا فى العصىّ أجمل ولا أروع من عصا فى آخرها قرن ؟

(يدخل رسول)

الرسول : مولاى الأمير ، لقد قبض على أخيك أثناء فراره
وجىء به إلى مسينا مخفوراً .

بنيديك : لا تفكر فيه إلا غداً .
وسأبتكر عقاباً له يليق به ،
اعزفوا أيها العازفون .

(يبدأ الرقص وفى ختامه ينصرفون)

رقم الإيداع	١٩٩٣ / ٨٥٠٠
الترقيم الدولى 977 - 02 - 4233 - 0	ISBN

١ / ٩١ / ٤٢٨
طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)

تمتاز مسرحيات شكسبير الخالدة بأنها نتاج عبقرية مسرحية وعبقرية شعرية معًا، فقد جمع شكسبير بين حس درامى فذ وشاعرية فائقة بالإضافة إلى معرفة بالنفس الإنسانية والسلوك الإنسانى بدرجة من العمق والإتساع جعلت من كل مسرحياته صورًا فنية رائعة للحياة الإنسانية.. حلوها ومرها..

ودار المعارف يسعدها أن تقدم للقارئ العربى أعمال شكسبير مترجمة بقلم نخبة من عمالقة الفكر والأدب فى العالم العربى لتكتمل بذلك روعة التأليف ودقة الترجمة ومتعة القراءة.